١٩٧

HARLEQUIN

روايات احلام

غداً... يزهر الحب!

ساره كريڤن

منتديات روايتي

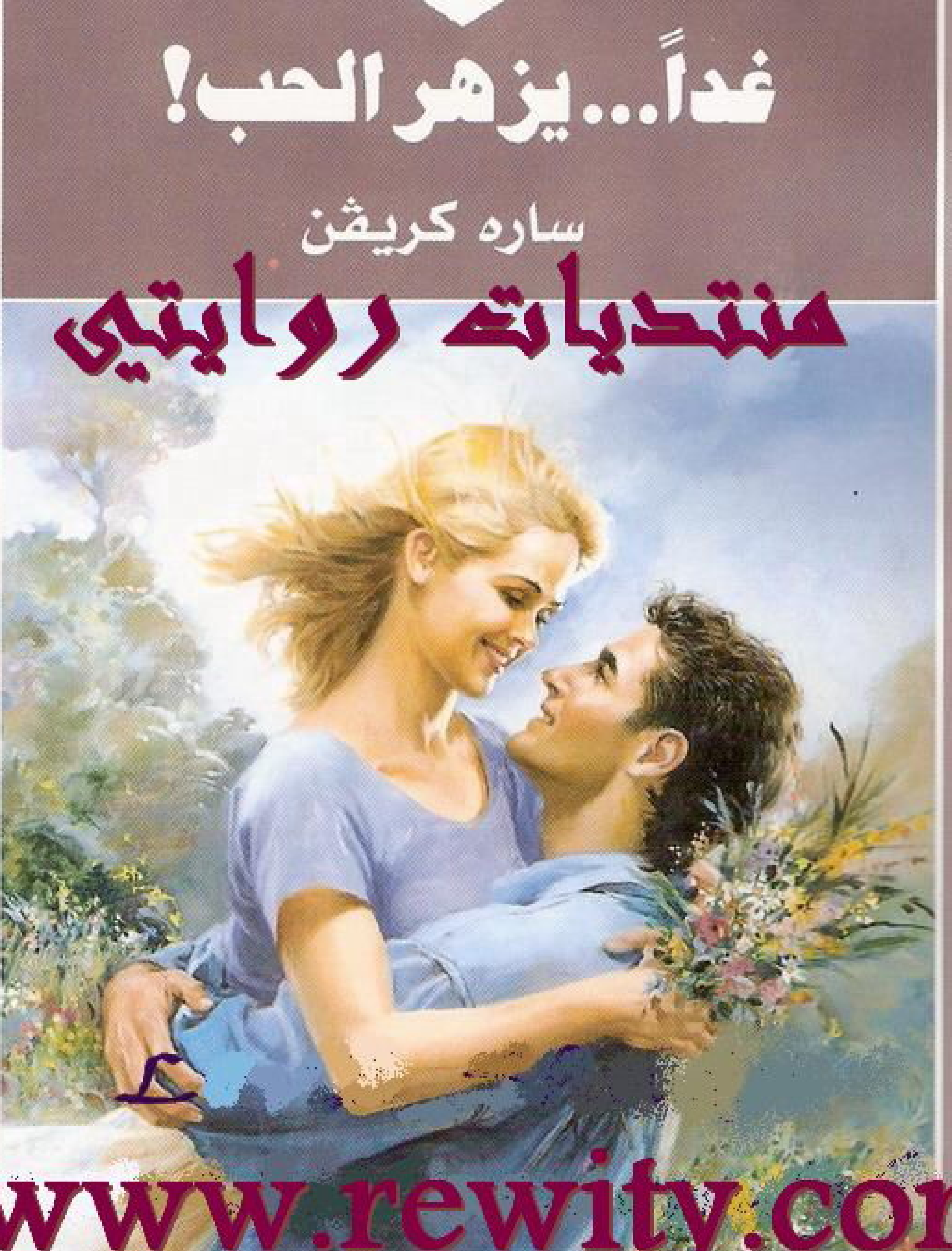

www.rewity.com

www.rewity.com

غداً... يزهر الحب!

تعلمنا الحياة أن الفضول صفة ليست محمودة دائماً... وهذا ما حصل لكلير ماريوت عندما زجت نفسها في مشاكل عائلة بارتالدي. فما من عاقل يفعل ذلك، خاصة مع الماركيز غويدو بارتالدي الشهير وينجو بفعلته!

«قالت باولا إنه بارد، لكنه أسوأ من هذا بكثير! إنه ثلج وجليد... قطعة رخام... إنه الظلام بعينه!»

مع هذا، قبلت الوظيفة التي عرضها كمرافقة ومدرسة لباولا المراهقة، لكي تنقذها من الزواج المفروض عليها بالماركيز. لكن كيف يجرؤ على التقرب من كلير في الوقت نفسه بهذا الشكل المريب؟ ما هي نواياه؟

إنه آخر رجل قد تتورط معه كلير ماريوت... ولكن للحب أحكام أخرى!

منتديات روايتي

ISBN:9953-15-010-9

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س
الأردن: ١,٥٠ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الإمارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ دراهم

البحرين: ١ دينار
المغرب: ١٥ درهم
تونس: ٢ دينار
عمان: ١ ريال

9789953-15-010-9

١ ـ امرأة في قيود

لشدّ ما كان الطقس حاراً، في روما. ولشد ما كانت السماء زرقاء صافية والشمس مشرقة تغمر الأفق. على أن كلير لم يفتها مشهد السحب السوداء تلك، تتجمع متلبّدة.

أخرج من عاصفة لأدخل في أخرى! هكذا همست لنفسها متذمرة، وهي تقود الفيات المستأجرة، بحذر حول منعطف خطير.

على أي حال، كان للعاصفة الأولى معنىً إنساني، إذ تمّ على أثرها إنهاء مفاجىء لعقد العمل. كان عقداً في روما لتعليم أولاد عائلة ثرية في روما اللغة الإنكليزية لمدة ثلاثة أشهر.

لكن سيد البيت ذاك، السنيور دورلي، كان شارد العينين... واليدين..! ذلك الصباح قالت لها السنيورا دورلي وهي ترفل بالحرير الرمادي وباللآلىء: «لم يكن الخطأ خطأك، سنيوريتا، وليس لي أن ألومك في ما صدر عن زوجي من تصرف أحمق! بل لقد أصبت في ما فعلت، أنت سنيوريتا! وعلى أي حال، لم يكن من الصواب أن آتي بشابةٍ جذابة إلى منزلي».

أضافت بعدما هزت كتفيها: «لقد أفهمته، على الأقل، أنه ليس ذلك الذي «لا يقاوم»... وبسبب هذا الوضع لم يعد أمامي خيار غير صرفك؛ ولكن المدرّس القادم سيكون رجلاً!».

هكذا وضبت كلير حقائبها، وودعت الأولاد آسفة، كما تقبلت دونما تعبير واضح على وجهها أجرها كاملاً مضافاً إلى مكافأة جيدة من السنيور دورلي المتجهّم الوجه ببذلته الفخمة التي ما تزال ملطخة بالقهوة التي سكبتها فوقها كلير مضطرة لدى الإفطار.

لو ترك الأمر لهذا السيد، لرماها إلى الشارع دونما بنس واحد. ولكن لحسن الحظ كان للزوجة نوايا أخرى ورأي آخر. فلقد كانت السنيورة دورلي، مستعدة للمضيّ في استغلال الموقف لآخر لحظة وآخر ما يستحق!.

وهو يستحق ما يصيبه. فلقد أمضت كلير عشرة أيام، متجاهلة ما أمكنها نظراته الفاسقة وتعليقاته الهامسة، تتجنّبه جسدياً ما وسعها، مطمئنة إلى أن لباب غرفة نومها قفلاً من الداخل.

لكن، رغم اتساع الشقة، لم يكن في وسعها تجنّبه على الدوام. اقشعر جلدها وهي تتذكر كيف كان يضغط نفسه عليها عند الأبواب.

حتى شكوك زوجته التي عبّرت عنها، على الدوام، بالصوت المرتفع، حتى هذه الشكوك لم تحل دون تواجد كلير وحيدة في غرفة الطعام، ذلك الصباح. ولكن السنيور لم يحاول تقبيلها فقط، بل تجرأ ودسّ يده تحت ثوبها وهذا ما حدا بها، وبغضب عارم، إلى أن تعاجله بصب قهوتها عليه، وفي هذا الوقت صادف دخول السنيورة إلى الغرفة.

إذن، هذا ما سبّب انطلاق كلير كما الطير حرة، تقود سيارتها إلى مقاطعة أمبريا. لم يكن هذا، بالطبع، ما خطّطت له. فقد أشار عليها المنطق السليم بأن تعود إلى بريطانيا، فتودع المصرف ما كسبته وتطلب من وكالة التوظيف أن تبحث لها عن عمل آخر.

وهذا ما ستفعله.. في النهاية. بعدما تزور عرّابتها ڤيوليتا.

انفرجت شفتاها عن ابتسامة عذبة وهي تفكر بعرّابتها ذات الأيدي المحلاة بالجواهر! كانت أرملة ثرية لم يغوها أن تتزوج مرة أخرى!.

سألت، مرةً، بخفة: «لماذا تلزمين نفسك بصنف واحد من

الطعام «كارا» وأمامك مأدبة طعام كاملة تستمتعين بها؟».

مضت كلير تفكر: كانت لڤيوليتا، على الدوام، أجواء المرأة التي تستمتع بالعالم، ففي حرارة الصيف كانت تحب أن تخلد إلى منزل فاتن على سفوح التلال قرب «اوربينو» فتستعيد عافيتها بعد النشاط الاجتماعي المرهق الذي تغرق فيه طوال أيام السنة. ولطالما ناشدت كلير أن تأتي فتقيم معها.

قالت لها: «تعالي إليّ متى شئتِ. ولكم أحب رؤيتك».

ومسحت دمعة حقيقية بمنديل حريري مخرّم: «إنك لصورة عن أحب الناس (لاورا) ابنة عمي وأعظم صديقة، وكم أشتاق إليها! كيف استطاع والدك أن يستبدلها بتلك المرأة الرهيبة؟!».

ولكنها ذكريات تخطاها الزمن، ولقد اختارت كلير ألا تتذكرها.

لقد ماتت لاورا ماريوت منذ خمس سنوات، ومهما كان رأي كلير الخاص بزوجة أبيها، أو بالصعوبات التي حاقت بعلاقتهما، فقد بدا أن (بيرنيس) تسعد والدها مرة أخرى... وهذا هو المهم حقاً... «أوهذا ما كانت تطمئن به نفسها».

لكن زواج (جون ماريوت) مرة أخرى، وضع نهاية لانضمام كلير إليه كشريكة في مدرسة لغات ناجحة كان يديرها في كامبردج.. فقد أوضحت (بيرنيس) هذا منذ البداية... فهي لا تريد أي شيء يذكرها بزواجه السابق خاصة ابنة كبيرة تعيش بين يديها.

ولعل السبب شبه كلير بأمها، الذي كان فرحاً عظيماً لڤيوليتا والسبب الأساسي لامتعاض زوجة أبيها.

كلما كانت بيرنيس تنظر إلى كلير، كانت ترى البشرة العاجية والشعر الأشقر الشاحب والعينين السوداوين المختلجتين كزهر «الياسمين» المطعم بالذهب والفم العريض الذي يبدو على الدوام وكأنه يبتسم.. كلها أشياء أورثتها لاورا لابنتها.

ولم تستطع نزعتها المتملكة كذلك أن تتحمل التقارب الشديد بين جون

www.rewayat2.com

وكلير اللذين كانت تربط بينهما عدا رابطة الدم رابطة الصداقة.

لم يكن من السهل على كلير أن تبتلع خيبة أملها وألمها، لكنها كانت محظوظة في ايجاد الوكالة التي تؤمن لها عملاً في تعليم اللغة الانكليزية.

وضعت الماضي وراءها... وعملت برضىً كامل، تتقبّل كل عمل يقدّم لها دونما تذمر، وأسست بهذا لنفسها سجلاً معتمداً عليه.

كانت أسرة دورلي فشلها الحقيقي الأول... واعترفت بهذا فتنهدت.

الآن شعرت أنها بحاجة إلى إجازة قصيرة قبل الخوض في مهمة أخرى... فلقد مر عليها سنتان تقريباً منذ حظيت بعطلة. وفي منزل عرّابتها ستُدلّل وتعزز بطريقة لم تعرفها منذ سنوات.. فيا للفكرة المسلّية!.

وهذا ما دفع كلير للنظر إلى السماء ذاهلة ممتعضة... ما زالت على بعد أميال من سيناتشيو حيث تعيش ڤيوليتا وليس أمامها سوى فرصة ضئيلة للوصول قبل العاصفة... العاصفة! إنها تدرك تماماً مدى شراسة الطقس الذي لا يمكن التنبؤ به في هذه المنطقة.

لم تكد هذه الفكرة تكتمل حتى أخذت أولى قطرات المطر تتساقط على الزجاج الأمامي.. وما هي إلا لحظات حتى أصبحت طوفاناً عجزت مسّاحات الزجاج عن التعامل معه.

قررت كلير، وهي التي لم تعتد على القيادة في مثل هذه الظروف أن تتوقف جانباً على الطريق المرصوفة بالحصى.

فتحت إحدى كرتونات عصير الفاكهة التي اشترتها حين توقفت للغداء وشربتها بامتنان وقد أحست ببرودتها تنعش فمها الجاف.

كان المطر يتدفق بدفعات هائلة راحت تشكل ستارة تحجب المرئيات أمام أنظارها. راقبت البرق الذي سطع شاقاً السماء نصفين، تبعه الرعد قاصفاً ومتردداً كالصدى من قمة إلى قمة.

مالت كلير إلى الأمام وقد سحرها ذلك الجمال الذي يبهر البصر تتناول منديلاً ورقياً تمسح به أصابعها وإذا بها تتوقف عابسة.. ويا لغرابة ما رأت

أمامها! هناك من يتحرك وسط ذلك السد المطري.. نعم، إنها لتقسم على ذلك!.

لا! لا، إنها، رغم تأكدها، تكاد لا تصدق! فهل من أحد يملك ذرة عقل يختار السير في طقس كهذا؟!.

عادت تحدّق، عبر الزجاج الأمامي فأدركت أنها لم تكن مخطئة! فهنالك، على تلك الطريق، من كان يتحرك، يتقدم نحوها.. وأدركت ذاهلة أنه طيف فتاة تحمل حقيبة وتعرج بطريقة سيئة.

أنزلت كلير زجاج نافذتها.. وما إن اقترب الطيف الأعرج منها حتى قالت بالإيطالية: «هل تواجهين مشكلة؟ أيمكنني مساعدتك؟».

ترددت تلك الفتاة التي لم تكد تتجاوز سن المراهقة. بدت جميلة بشكل صارخ، مع أن شعرها الأسود يتدلى كأذناب الفئران حول وجهها الذي ترتسم عليه علائم العناد والمشاكسة.

ـ أرجوك، لا تقلقي عليّ سنيورا. لن أعجز عن تدبير أمري جيداً.

ـ هل آذيت كاحلك؟.

ازداد عمق النظرة الغاضبة: «لا.. السبب هو كعب هذا الحذاء الكريه.. أترين؟ لقد انكسر».

أجابت كلير بحزم: «إذا كنت تصرين على اكمال سيرك، فإني أقترح عليك نزع الكعب الآخر، وبهذا ستُسوّى الأمور قليلاً».

قالت الفتاة الصغيرة بتكبر: «أنا لا أتمشى.. لكن سيارتي فرغت من الوقود».

ارتفع حاجبا كلير.

ـ وهل أنت بعمر يسمح لك بالقيادة؟.

كانت تعرف أن رخصة القيادة لا تُعطى إلا لمن تجاوز الثامنة عشرة من العمر. أجابت الفتاة بتوتّر:

ـ طبعاً. (وبدت بوجهها الصغير كهرة صغيرة غاضبة). المسألة أنهم لا

يعبأون السيارة بالوقود خشية أن أهرب.

نظرت كلير إلى الحقيبة: «أوليس هذا ما تفعلينه الآن؟».

حاولت الفتاة أن تبدو وقورة.

ـ أظن أن هذا... ليس من شأنك، سنيورا.

ـ إذن، سأجعله من شأني. (وفتحت الباب الآخر). على الأقل، اختبئي معي حتى يتوقف المطر... وإلا فستصابين بالتهاب رئوي.

اعترضت الأخرى..

ـ لكنني لا أعرفك، فقد تكونين... أي شيء.....

ـ أؤكد لك أنني لا شيء... لا شيء يهم على أي حال، كما أظن أنك ستكونين أكثر أمناً في هذه السيارة، من بقائك على الطريق.

اتسعت عينا الفتاة: «أتعتقدين أن بالإمكان أن تصيبني صاعقة؟».

ـ أعتقد أن هذا آخر ما قد يحدث لك. والآن ضعي حقيبتك في الخلف وادخلي السيارة قبل أن تغرقي.

وبينما هي تندسّ في المقعد الأمامي، رأت كلير أنها ترتجف وأن فستانها الوردي الشاحب الذي يحمل بلا ريب علامة مصمم أزياء شهير كان ملتصقاً بجسمها، والحذاء المماثل لوناً كان دون لون ومبللاً ومكسوراً.....

مدت كلير يدها إلى مؤخرة السيارة وتناولت المعطف الواقي من المطر.. قالت: «ستحتاجين إلى خلع هذا الفستان.. وإذا ارتديت هذا وزررته حتى العنق، فلن يلاحظ أحد أي شيء. أخشى ألا أستطيع تقديم شيء ساخن لك ولكن معي بعض عصير الفاكهة إذا أحببت».

ساد صمت متردد اخترقته الفتاة بقولها:

ـ كنت لطيفة.

شغلت كلير نفسها بفتح علبة العصير... وتجاهلت بلباقة حركات الفتاة التي أعلنت:

ـ لقد فسد فستاني ويجب أن أرميه.

ابتلعت كلير ريقها: «أوليس هذا إسرافاً؟».

هزت الفتاة كتفيها: «لا يهم».

ودفعت القماش الوردي بقدمها الحافية وتناولت العصير من يد (كلير) التي بادرتها بسؤالها: «ماذا عن سيارتك؟ وأين تركتها؟».

هزّت مرة أخرى بكتفيها، ثم رنت إليها بطرف عينيها.

ـ هي في مكان ما، لا أذكر!

قالت كلير بفظاظة: «أمر مؤسف... ربما من الأفضل أن نتعارف... أنا كلير ماريوت».

حدقت الفتاة إليها.

ـ هل أنت انكليزية؟ لكن لغتك الإيطالية جيدة... لقد خدعت.

ابتسمت كلير: «كانت أمي ايطالية.. وهذه إحدى اللغات التي أعرفها».

ـ أحقاً؟ وما هي الأخرى؟

ـ الفرنسية، الأسبانية.. وقليل من الالمانية، والانكليزية بالتأكيد.

ـ ألهذا أراك هنا... لتعليم الانكليزية؟.

هزت كلير رأسها نافية: «لا... إنني في اجازة.. ما اسمك؟».

ـ اسمي باولا.. موربون.

لم يفت (كلير) التردد، مرةً أخرى! لكنها لم تسأل عن سببه.

ـ يبدو أن العاصفة مستمرة فإذا أعلمتني أين تقيمين فسأوصلك حتماً.

صاحت رافضة: «لا.. لن أذهب إلى البيت.. لا الآن.. ولا بعده».

تأوهت كلير في نفسها. وقالت بهدوء: «أرجوك أن تتعقلي.. فأنت مبللة حتى العظام وكعب حذائك مكسور. كما أن هناك من قد يقلق عليك».

انتفضت، رافعة رأسها بحدة، لتجيب: «لن يهمني أن يقلقوا... وليظن (غويدو) أنني متّ. فعندئذٍ لن يحاول أن يجبرني على الزواج به».

نظرت كلير إليها، محاولة كشف ما وراء هذا التصريح واستيعاب مضامينه في الوقت نفسه.

ـ غويدو؟.

ـ أخي... إنه قذر.

أحست كلير بالدوار. ثم ارتفع صوتها:

ـ أخوك؟ لكن هذا أمر مناف للعقل... وكيف يمكنك ذلك؟.

اجابت باولا وقد حركت انفها: «آه! إنه ليس أخاً حقيقياً... كان هناك شراكة بين والدي ووالده في العمل، وبعد ما مات والدي قال (زيو كارلو) أن عليّ أن أعيش معه. لكنني لم أرغب في هذا، بل تمنيت أن أبقى مع «ماترينا...» كما تمنّت هي ذلك أيضاً... لكن المحامين لم يسمحوا بهذا».

ذهبت (كلير) بتفكيرها إلى زوجة أبيها حيث رأت أن باولا كانت على الأقل أحسن حظاً منها هي. فيرنس لم تستطع الانتظار لتتخلص منها لكن لدى هذه الفتاة مشاكل أخرى. قالت لتفهم الوضع أكثر:

ـ وهل كانت رغبة زيو كارلو أن تتزوجي غويدو هذا؟.

تنهدت باولا: «زيو... لا.. فهو ميت كذلك.. لكنه قال في وصيته إن على غويدو أن يكون وصيّ حتى أبلغ الواحدة والعشرين من عمري وعندئذٍ يعود إلي مالي، إلا إذا تزوجت قبل ذلك، طبعاً. وهذا ما أنوي أن أفعله. لكنني لن أتزوج غويدو بالطبع فأنا أكرهه».

أحست كلير كأنها تخوض في متاهة.. فسحبت نفساً عميقاً. ثم تابعت: «ألست صغيرة على التفكير في الزواج... من أي شخص كان؟».

ـ وكيف؟ إنني في الثامنة عشرة... أو سأصبح قريباً، أمي كانت في مثل عمري حين التقت بأبي ووقعا في الحب. حين تلتقين بالرجل الوحيد المناسب لك فلا شيء آخر يهم.

قالت (كلير): «فهمت... ولكن هل التقيت بمثل هذا الرجل؟».

أجابت باولا وقد لمعت عيناها: «طبعاً... واسمه فابيو. إنه رائع.. ولسوف ينقذني من غويدو».

فكرت كلير، بأن هذا كله كلام هراء، وأن الوقت حان لتقديم شيء من الواقعية. فاندفعت تقول:

ـ باولا، نحن في القرن الواحد والعشرين ولقد توقف الناس عن اجبار الآخرين على الزواج... وإذا عرف غويدو ما تشعرين به....

ـ لا إنه لا يهتم. وما يهمه حقاً هو المال فقط، فقط... حصة والدي في الأعمال ملكي فإن تزوجت شخصاً آخر فسيخسر المال. ولن يسمح بهذا. لقد أبقاني في سجن مدة ثلاث سنوات.

ـ سجن؟ عمَّ تتحدثين؟.

تكدر فم باولا الرقيق بعناد.

ـ أجل، أجل. لقد أرسلني إلى تلك المدرسة.. وكانت الراهبات مثل حراس سجن.. فعل هذا كيلا ألتقي بأحد سواه وأكون سعيدة.

ظهر لكلير أن غويدو المجهول هذا، قد يكون محقاً. فالواضح أن عقل باولا بخفة عقل فراشة. لكن هذا لا يعنى أن من المسموح به الضغط على فتاة لم تنضج لتزويجها زواج مصلحة... ولكن أهذا ما يفعله حقاً؟ عادت تقول بلطف:

ـ ربما كان غويدو يحبك حقاً، (باولا) ولذلك يحرص عليك.

ما كان من باولا إلا أن رفعت أنفها بازدراء، لتعقّب:

ـ لا أصدق هذا.. إنه قلق على أعماله. إنه، فقط، يبغي السيطرة على حصتي.. وهذا كل شيء.

ـ آه! (استوعبت كلير الأمر، ثم عادت لتسأل) كيف التقيت بفابيو؟

قالت باولا حالمة: «كنت في إجازة في «بورتوفينو» مع صديقتي كارلوتا وعائلتها، وكان غويدو قد سمح لي بالذهاب لأن أم كارلوتا أكثر صرامة من الراهبات.. ولكن أنا وكارلوتا كنا نتسلل من نافذة في الفيلا، ونذهب إلى

البلدة ليلاً. مرةً، كنا في أحد المراقص حين حاول بعض الرجال التحرش بنا. جاء فابيو وصديقه... يهرعان لمساعدتنا. نظرت إليه.. وعرفت.. وكان الشيء عينه له».

قالت كلير ببطء: «إنه، فعلاً، حُسن الحظ! وبقيت على اتصال به منذ ذلك الوقت؟».

هزت باولا رأسها بلهفة.

ـ إنه يراسلني... ولكنني ادعي أنّ الرسائل هي من كارلوتا.

ـ ألم تخبري غويدو عن هذا الشاب؟.

رفعت باولا عينيها إلى السماء!.

ـ هل أنت مجنونة؟ أوَ تعرفين ما قد يفعل؟ سيرسلني حتماً إلى سجن آخر... في سويسرا. لأتعلم الطبخ وتنسيق الزهور فأكون مضيفة جيدة له. ثم إن فابيو ليس شاباً، بل هو رجل... ولكنه ليس بعمر غويدو طبعاً... هو أكثر وسامة بكثير... بيللو... بيللو...

وأدارت عينيها نحو السماء.

ولاحت في ذهن (كلير) صورة غويدو... رجل فاسق!؟ كبير السن، ومن طراز سنيور دورلي الكريه، ومع ذلك استطاعت أن تفهم اغراء (فابيو). وفي الوقت ذاته، كانت تفهم سبب القلق الذي يشعر به ذاك الرجل. قالت بلطف: «وهل أنت ذاهبة لملاقاة فابيو في مكان ما؟».

ـ سي... ولنتزوج.

لا تتورطي. فكرت كلير محذرة نفسها، ورأت أن عليها الإسراع لإنزال الفتاة في أقرب محطة بنزين.. ثم تتابع حياتها... فهذا أمر لا شأن لها فيه.

قالت: «وأين سيجري الزواج؟».

هزت باولا كتفيها.

ـ لا أدري... فابيو يقوم بكافة الترتيبات.

نظرت كلير إلى الفتاة مفكرة. فهذه الفتاة توشك أن تقع في أتون من النار. لا يبدو غويدو هذا مستساغاً كثيراً، لكن فابيو لا يزيد عنه سوءاً... ألم يغو فتاة صغيرة ضعيفة بالزواج خطيفة؟

ـ وأين ستلتقين به؟.

ـ في محطة القطار... في باريزو. (نظرت مذعورة إلى الساعة البلاتينية التي تضعها على معصمها) سأتأخر وسيفلت مني.

ـ هل ستستقلان قطاراً محدداً؟.

ـ لا... إنه مكان مناسب للقاء... فيه أناس كثيرون وقد قال فابيو إن أحداً لن يلاحظنا.

كانت كلير كلما سمعت المزيد عن هذه الترتيبات كلما قل إعجابها بها.

قالت بصوت فظ: «يبدو أنه خطط لكل شيء».

ـ طبعاً.

وبدأت باولا بالتفتيش في حقيبة يدها الصغيرة الأنيقة.

ـ لقد كتب يعلمني بما عليّ فعله بالضبط. لدي رسالته في مكان ما...

لكن إذا تأخرت، سيفسد كل شيء. (صمتت باولا وراحت توجه نظرة متوسلة إلى كلير) إلا إذا.. سينوريتا.. أوصلتني إلى باريزو.

قسّت كلير قلبها أمام لهجة التوسل والابتسامة الذابلة وأجابت: «لكني ذاهبة باتجاه مختلف».

وضعت باولا يداً متوسلة على ذراع كلير: «لكن لن يأخذ منك هذا وقتاً طويلاً... وسيساعدني كثيراً».

ـ لديك سيارتك... وسأساعدك في الحصول على وقود لها، ثم...

ـ هذا يستغرق وقتاً طويلاً جداً، ويجب أن أصل قبل أن تنتبه إلى رحيلي وتبدأ بالبحث عني.

لم تفهم كلير فقالت: «هي؟».

ـ السنيورا... المرأة التي وظفها غويدو لتراقبني في غيابه.

- وهل يحدث هذا كثيراً؟.

- سي... وهو غائب الآن... وأنا وحدي معها.. إنها ساحرة شريرة... وكم أكرهها.

وهي ليست ساحرة كفؤة... وإلا لعرفت تماماً ماذا تنوي الفتاة.

أردفت باولا: «لكن غويدو عائد قريباً.. ربما غداً. وسيحاول إجباري على الزواج به مجدداً... لذا قد تكون هذه فرصتي الأخيرة للهرب... إنه يخنقني».

وارتجفت بشكل دراماتيكي. اشتد ضغط كلير على فمها لأنها تذكرت السنيور دورلي.. وقالت ببطء.

- أي نوع من الضغط يمارسه عليك، بالضبط؟.

- أتعنين أنه يغازلني؟.

هزت كلير رأسها بعنف.

- لا... فهو بارد دائماً. واعتقد أنني صغيرة عليه. أضيفي إلى هذا أن لديه امرأة تعيش في سينّا. ها هي الأمور تزداد سوءاً إلى سوء..

وقطبت كلير مفكرة، ثم سحبت نفساً عميقاً.

- ومع ذلك، أعتقد حقاً أنه من الأفضل لك أن تتريثي، وأن تفكري بما أنت مقدمة عليه، قبل أن تقفزي إلى هذا الزواج المتسرع.. وعلى أي حال، أنت لا تكادين تعرفين فابيو...

- أنت ترتأين لي العودة إلى المنزل.. إلى ذلك السجن؟ لا لن يكون هذا... وسأكمل سيراً حتى (باريزو) ما لم تقليني إلى هناك.

ومدت يدها إلى فستانها الوردي المبلل. قالت كلير بجفاء: «لا.. لن تسيري... سأقلك».

ربما، في طريقهما إلى باريزو.. ستتمكن (كلير) من وضع بعض التعقل في رأس رفيقتها.. أو تتمكن على الأقل من إخبارها عن الشبان الوسيمين الذين يتسكعون حول المنتجعات السياحية الراقية، بحثاً عن

النساء الثريات. باولا لديها ميزات إضافية... فعدا المال لديها الشباب والجمال الأخاذ. لا شك أن فابيو يعتقد أن الحظ جاءه على طبق من ذهب.

تنهدت كلير في نفسها، وهي تدير السيارة. كانت تهم بمكالمتها بشكل لبق حين لاحظت أن باولا تغط في نوم عميق.

أوقفت كلير السيارة خارج المحطة وجالت بنظرها حولها فلم تكن قد زارت باريزو من قبل، لكن ساحتها العامة بدت لطيفة تتوسطها بركة في وسطها نافورة.

نادتها: باولا! ولفظت اسمها بهدوء.. لكن الصغيرة لم تتحرك. فكرت (كلير) أن هذا لصالحها، فقد يعطيها فرصة لإلقاء نظرة على ذلك الشاب، فتطرح عليه بضع أسئلة وتستكشف نواياه.

لكنها تساءلت بينها وبين نفسها عما يدفعها إلى هذه المشقة من أجل فتاة غريبة عنها. فكرت في أن هذه الفتاة بحاجة إلى صديق «وأنا الآن كل ما لديها»!

وعلى عكس توقعات باولا، لم تكن المحطة مكتظة بالعاشقين الوافدين لملاقاة حبيباتهم. بدا الرصيف مهجوراً والمنتظر الوحيد رجل يستند باسترخاء إلى عمود حجري.

بدا شخصاً ينتظر منذ مدة.. شخصاً مستعداً للانتظار طوال اليوم إذا دعت الضرورة. فكرت كلير في هذا وهي تسير. لا شك أن هذا الشخص هو فابيو.

عندما اقتربت منه استقام ببطء كنمر ضخم يستعد للوثوب. ووجدت أنفاسها تضطرب بشكل غير عادي وهي تنظر إليه لأول وهلة. «يا إلهي!...» هذا ما قالته بينها وبين نفسها ولكنها أعجبت به.. إنه الجاذبية بعينها واقفة على ساقين.

ويا لهما من ساقين مديدتين غطاهما سروال ثمين رائع التفصيل... قميصه العادي كان كحلياً وسترته من صنع أشهر المصممين وهي تنسدل عن

كتفين عريضتين.

تفهم الآن حاجته إلى زوجة ثرية. لكي يبقى على هذه الدرجة من الترف والأناقة سيحتاج إلى كل ما تملكه باولا.

كان في أواسط الثلاثينات. يبلغ طوله حوالي ست أقدام بشعر أسود برّاق. لكنه لم يكن وسيماً بالمعنى التقليدي. إن عظام وجنتيه تبدو رائعة. عيناه السوداوان المحدقتان بها باهتمام مماثل لاهتمامها، كانتا مثقلتي الأجفان وأما أنفه وذقنه فبارزان بقوة...

ولم يكن هذا كل شيء.. فقد بدا معتداً بالنفس واثقاً وفيه قوة لا يكاد يلجمها... وهي قوة بعثت الاضطراب في نفسها. ووجدت نفسها تفكر... قوة.. هي الإثارة المطلقة في الرجل...

لا عجب أن تكون باولا، وبعد تحررها من مدرسة الدير، قد أضاعت صوابها.

قالت بالايطالية: «هل تنتظر باولا سنيور؟».

- سي سنيوريتا..

صوته منخفض ورنان. لهجته صارمة... لكن كلير لاحظت التغيير في وقفته... ما زال هناك مسافة آمنة بينهما، فمن الغباء إذن الاحساس بأي خطر محدق... لكنها أحست بهذا.

الإحساس بوجود نمر مستعد للانقضاض أصبح قناعة لديها. وأدركت مرتجفة أن أمامها خطراً. ماذا تفعل هنا بحق السماء لتقارع شخصاً مثله بسيفها؟ ولكن باولا بحاجة للحماية... هذا ما ذكرت نفسها به بسرعة.

- هل تعرفين أين هي؟.

- طبعاً... لكنني أردت أن أتحدث إليك بشأنها أولاً.

قال بصوت ناعم رقيق: «آه... ومن أنت؟».

- هذا لا يهم.

وسرعان ما أصبحت نظراته السوداء مشحونة: «أعتقد أنه يهم..».

أخذ يتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها. فأغضبتها نظراته...

على أي حال... لن يهتم هذا الرجل بفتاة ترتدي فستاناً بسيطاً ضيقاً وصندلاً رخيصاً. إنها فتاة عاقلة، وليست الطفلة الثرية التي يريد أن يفتنها. والله يعلم أنه آخر رجل قد تريد التورط معه. إذن.. ما مشكلتها؟.

قال: لست من كنت أتوقع.

رفعت ذقنها مجيبة: «كنت أفكر في الشيء عينه».

مال برأسه ساخراً... وتمتم: «هذا ما أصدقه.. أين باولا؟».

- إنها آمنة.

بدت عيناه السوداوان تخترقان عينيها: «يسرني سماع هذا. هل لي أن أراها؟».

هزت كلير رأسها بارتباك خفيف: «طبعاً... ولكن قبل هذا علينا أن نتحادث قليلاً!».

ابتسم لها: أوه.. ستتكلمين سنيوريتا... لكن ليس معي.

ما هي إلا إشارة من يده حتى شعرت كلير بحركة تأتي من ورائها ومن جانبها... وسرعان ما ظهر رجال يرتدون زياً رسمياً.... رجال يمتشقون بنادق ويصوّبونها نحوها!

أمسك أحدهم بذراعيها وقيدهما إلى الخلف. بدأت تقاوم القيود الحديدية التي تمسك بمعصميها. حاولت أن تصرخ، أن تحتجّ، لكن حنجرتها توترت وضاقت فاحتبس صوتها وأخفق احتجاجها.

كل ما استطاعته هو النظر إلى خصمها برعب. قالت بصوت أجش: «من أنت؟».

- أنا غويدو بارتالدي سنيوريتا... وأنت واحدة ممن خطفوا من هي تحت رعايتي.

أثر صوته فيها وكأنه لذعة سوط: «والآن أخبرني ماذا فعلتم بها».

ارتفع صوتها محتجة: «خطفت؟ هل أنت مجنون؟».

صمت غويدو مذهولاً وعابساً، غير مصدق أنه يسمعها تكلمه بالإنكليزية، ورد عليها بلغتها: «أنت المجنونة لأنك تظنين أنت والمتآمرين معك أن بإمكانكم النجاة».

عادت ردة الفعل تهدأ وأخذت كلير ترتجف.

- ليس معي متآمرون! لقد التقيتها على الطريق، وأوصلتها إلى هنا. . . وهذا كل شيء.

تقدم رجل بوليس بسرعة: «الصغيرة في الخارج. . فاقدة الوعي. . مخدّرة كما أعتقد. . لكنها حية «ماركيز»».

قالت كلير بانفعال: «إنها نائمة وليست مخدرة».

أخذت كلمة «ماركيز» ترن في رأسها. . لم تذكر باولا لها أن عريسها المرفوض من النبلاء.

قال الماركيز آمراً: خذوها إلى عيادة محلية، فوراً. (وعاد ينظر إلى كلير). أما هذه. . فأبعدوها عن نظري. . . فوراً.

أمسك بذراعيها، وأديرت بعنف نحو المخرج. صاحت من فوق كتفها: «أرجوك. . . إنك ترتكب غلطة شنيعة».

وردّ بلهجة فظة: «والغلطة غلطتك سنيوريتا. . لكنك ستدفعين ثمنها غالياً. . أعدك بهذا».

وأدار ظهره لها بكل برود.

***

٢ - مشاعر ليست للبيع

كانت الغرفة التي أخذت إليها (كلير) صغيرة فيها نافذة واحدة مرتفعة وكراسي وطاولة استقرّ فوقها قنينة بلاستيكية لمياه معدنية وكوب بلاستيكي.

«لئلا أنتهز الفرصة وأجرح معصمي» عضت كلير شفتيها. لكنهم على الأقل لم يضعوها في زنزانة. . والحمد لله أنهم انتزعوا القيود من يديها.

يدا كلير ترتجفان! نعم، مع أن حرارة بعد الظهر كانت قد حوّلت الغرفة إلى فرن حقيقي!

كان رجلان يرتديان ثياباً عادية قد وجها إليها بوجوه كالحة بعض الأسئلة الأولية فردت عليها ذاكرة اسمها وعمرها، وعملها، وسبب وجودها في ايطاليا. . . وعندما سألاها أين تقيم قالت في روما، لكنها ترددت حين طلبا اسم وعنوان مستضيفها هناك. سوف تبدو ابتسامة الانتصار على وجه السنيور دوريل لو سمع أنها معتقلة.

لكنها عرفت أن رفضها الرد لطخة سوداء في سجلها. . . وبعد ذلك تركاها بمفردها.

لم تذكر أمر فابيو. . . مع أنها متأكدة من أنه هو المتآمر الذي ذكره الماركيز. ماذا فعل بحق الله؟ فالزواج خطيفة ليس جريمة!

ولكن هل الهرب مع عروس الماركيز المنتظرة يعتبر جريمة كبرى؟. . . الترى فيها سخرية! فلقد رأت بعينها كيف كانت معاملته مختلفة.

غويدو بارتالدي. . الاسم مألوف لها. . لكنها لا تعرف السبب. . . فعقلها المتعب المذعور كان يرفض البحث عن تلك العلاقة.

كلا! ما كانت متأكدة منه، هو أنها لم تقابله شخصياً ولا في أكثر أحلامها جنوناً.

قالت باولا إنه بارد، لكنه أسوأ من هذا بكثير! إنه ثلج وجليد. . . قطعة رخام. . إنه الظلام بحد ذاته. ولكن لا جدوى من الجلوس هنا والتفكير في مدى كرهها له.

عليّ أن أفكر. . . أقامت كتفيها، تقاوم دافعاً قوياً لأن تضع رأسها على الطاولة وتبكي ثم تبكي. حتى الآن، تركت الجميع يتصرف كما يشاء. . أنا بحاجة للاتصال بالقنصلية البريطانية ولتبليغ فيوليتا أيضاً. . . ولكني لا أريد أن أشغل بال أبي ما لم يكن ذلك ضرورياً جداً.

إنما الأمور لن تصل إلى هذا الحد. . وحاولت طمأنة نفسها بأن باولا لا بدّ استيقظت، ولا بد أنهم عرفوا أنني بريئة. إلا إذا كانت أكثر خوفاً من أن تقول الحقيقة. . تقلصت معدتها. . . فإن قررت التظاهر بأنها خطفت بدل الاعتراف بأنها هربت. . آه. . يا رباه!. . . يمكنها بسهولة أن تفعل هذا!

تمنت لو تعرف أكثر عن القانون الايطالي وكيف يعمل. . . فهل كان عليها أن تطلب محامياً على الفور؟ لا شك أن فيوليتا تعرف محامياً بارعاً.

تمنت أيضاً لو تعرف كم الساعة الآن. لكنهم أخذوا ساعتها، إضافة إلى حقيبة يدها.

يبدو أنني هنا منذ ساعات.

كانت كتفاها تؤلمانها من شدة التوتر. وثيابها تكاد تلتصق بجسمها المبلل عرقاً. . . ومن الصعب أن ترفع معنويات نفسها، وتحاول التفكير بشكل منطقي وهي في هذه الحال المزرية جسدياً ومعنوياً.

سمعت صوت مفتاح في قفل الباب فتصلب جسمها كله، ماذا الآن؟

ولكن ويا للدهشة! دخل الماركيز بارتالدي الغرفة وتوقف ينظر إليها،

بعينيه السوداوين الضيقتين، متجهم الوجه والفم!.

وسرعان ما شمّت رائحة منبعثة منه. . رائحة ماء الكولونيا الخفيفة التي خففت من ثقل الجو الذي أحدثه!.

راحت ترتجف غضباً وصممت أن تقاوم. دفعت كرسيها إلى الوراء، بغضب ببطء مجبرةً نفسها على ردّ نظرته. ولم يُفتها أنه كان يحمل حقيبتها التي رماها بإهمال على الطاولة التي بينهما، مما جعل محتوياتها تندلق فوق الخشب المصقول. زاد هذا التصرف المزري من حدة غضبها، وأضرم شعلة أخرى تفاعلت في صدرها. ولكن لماذا يعطيها هو أشياءها؟! وهل هو الشرطي المخوّل بذلك؟.

نعم! إنه الرجل القوي، بل الأقوى، والذي ربما في إمكانه أن يضع قوة البوليس في جيبه!.

قال بالانكليزية: اجلسي. . أرجوك.

وضعت يديها خلف ظهرها.

ـ أفضل أن أقف.

ـ كما تشائين.

وشرع يوزّع نظراته عليها، من الرأس حتى القدم مقوّماً بدقّة!. رفعت ذقنها تقاوم تفرّسه بها صامتة وأدركت بمرارة أنها تبدو مشعّثة المظهر، تشعر بالحر.

لكن هذا لا يهم. . . فهي لا تريد أن يكون لها أي تأثير أنثوي عليه. فبالنسبة إليه هي فقط من حوكمت وأدينت.

قال: «كوني طيبة سنيوريتا، وأخبريني تماماً كيف التقيت بالفتاة الموضوعة تحت وصايتي».

قالت كلير ببرود: «أفضل أن أقول هذا للقنصل البريطاني. . . كما أنني أرجو أن تسمحوا لي بأن أتصل بعرّابتي، وأن يتوفر لي محام».

أخذ نفساً عميقاً، ثم قال: «شيء واحد فقط آنسة ماريوتّ. . أولاً هل

www.rewayat2.com

لي أن أعلم لماذا كانت باولا في سيارتك؟».

أجابته بتمرد: «وكم مرة عليّ أن أردد وأقول؟ كنت ذاهبة إلى منزل عرّابتي في سيناتشيو، وأعاقتني العاصفة..».

ـ ومن هي عرّابتك؟.

ـ السنيورا أندريتي.. في ڤيلا روزا.

هز رأسه: «سمعت بها».

ـ أنا واثقة من أن هذا سيغمرها ارتباكاً.

اشتد ضغطه على فمه وقال: «أنصحك أن تتأدبي وأنت تكلمينني».

ردت ساخرة: «أوه... أنا آسفة.. ألا أتصرف بشكل مؤدب وقور، ماركيز؟ لا بد أنك جدير بهذا اللقب».

قال بلهجة حادّة: «لا أريد استعادة الموقف.. أرجوك تابعي قصتك».

تنهدت كلير: «ووجدت باولا على الطريق.. مبتلة حتى العظام. بدت لي ضعيفة معرّضة لكل أنواع المخاطر... وأقلقتني قصتها فقررت المساعدة، ثم أقنعتني بأن أقلّها إلى المحطة، لكن حين وصلنا كانت نائمة.. ففكرت أن ألقي نظرة على فابيو هذا.. وأتخلص منه.. إذا استطعت. (وهزت كتفيها) وكنت أنت تنتظر... فافترضت أنك فابيو!».

قال ببرود: «لا يطربني هذا الخطأ!».

قالت ساخرة: «أوه... اسمح لي أن أعتذر، كانت فترة بعد الظهر مثيرة لي. اتُّهمتُ بالخطف، واعتقلني حراس مسلّحون، استجوبت، وحجزت في فرن.. يا للأحداث المثالية!».

قال غويدو بارتالدي متجهماً: «ربما يعلمك ذلك عدم التدخل في ما لا يخصّك... قد يسرّك أن تعلمي بأن باولا استيقظت وهي تؤكد صحة أقوالك».

ورفعت كلير حاجبيها: «أحقاً؟».

اشتد الفم الصارم..

ـ لشدّ ما تبدو عليك الدهشة، سنيوريتا؟ وهي ردة فعل لا تطمئن...؟.

أجابت بلهجة جافة: «إنني دهشة فعلاً.. فباولا لم تظهر لي أنها صديقة وظننتها ستدلي فقط بما يظهرها بمظهر جيد».

انعقد حاجباه بحدة فخفضت (كلير) بصرها، تتوقع نزول الصاعقة فوق رأسها.

بدلاً من هذا ساد صمت مضطرب، للحظة. ثم، وبشكل لا يصدق جلجلت ضحكة متسلّية.

ـ لديك قدرة ماكرة على الحكم على الشخصيات.

وتلاقت نظراتهما فهزت كتفيها.

ـ ليس هناك ما يحتاج إلى دراسة في علم النفس لأعرف أن (باولا) فتاة قد تتصرف بشكل غير مألوف، وخطير، لو حشرت في زاوية... وهي حين تضجر، تبحث عن المشاكل، لكنها صغيرة جداً لذا من الطبيعي أن تشغل بالك كثيراً بمشاكلها.

قال بشيء من الغضب في صوته الهادىء: «إنني شاكر لك تقويمك.. لكنني قادر تماماً على القيام بالترتيبات اللازمة لمصلحتها».

ـ ولهذا كانت تحاول الهرب مع محتال معسول اللسان كما أعتقد! وبالمناسبة... ماذا جرى لفابيو؟ هل هو في الزنزانة المجاورة؟.

هز غويدو بارتالدي رأسه: لم يعتقل بعد.

ـ هكذا اذن... هذا الشرف مقتصر عليّ فقط.

قال ببرود: «لقد اعتقلت سنيوريتا لأن البوليس لم يكن مقتنعاً بأن فابيو كان يعمل بمفرده... ووصولك السيء التوقيت أكد شكوكهم. وهذا كل ما حدث».

شهقت كلير ساخطة.

- الواضح أنك تعتقد أن المسألة مرّت علي هكذا بكل بساطة.
- لو كنت متورطة، لكان الأمر أسوأ بكثير.

كانت كلماته رقيقة، لكن كلير أحست بشعرها في مؤخرة عنقها يقف!. رفعت رأسها: «ألا يقلقك أنني قد أقيم عليك دعوى لأنك اعتقلتني عن غير حق».

- حين دخلت إلى المحطة... لم أعرف أي دور تلعبين... ولم أنو المخاطرة... فهمّي الوحيد كان باولا.

قالت بشيء من القسوة، وقد تذكرت ما قالته لها باولا عن المرأة التي يزورها في سيّنا.

- حسناً! أعتقد أن هذا شيء آخر.

ما حدث اليوم قد يغير مشاعره وقد يقنعه أنه يحب باولا أكثر مما يدرك.

ووجدت نفسها تقطب قليلاً: «اذن... أين فابيو؟».

هزّ الماركيز كتفيه الأنيقتين.

- ومن يعرف؟ لقد تجرأ على الاتصال بي مفاوضاً إياي سائلاً عما أنا مستعد لدفعه كيلا يتزوج باولا..

أجفلت كلير ألماً: «مسكينة باولا!».

- أترين... ظنّ أنني لن أعرف أين سأجدها، وأنني قد أصاب بالذعر بحيث أخضع لكافة شروطه.

تملك الفضول كلير: «وكيف عرفت ذلك؟».

هز كتفيه مرة أخرى: «لسوء حظه أن باولا تركت رسالته التي يفصّل فيها كل الترتيبات في غرفة نومها».

ورغم القلق والتوتر والغضب، انفرجت شفتا (كلير) بابتسامة: «اوه... لا... بالتأكيد لا؟».

أضاف الماركيز ساخراً: «إنها ليست متآمرة خبيرة... فحين أدرك أنني أعرف الوقت والمكان الذي سيلتقيان فيه قرر أن يختفي... وأنهى المكالمة

على عجل... ثم ذهبت لآتي بباولا... وبدلاً منها وجدتك أنت..!».

نظرت كلير إليه ذاهلة.

- أجل... هذا ما فعلت... ومع أن ما قمت به يعتبر تطفلاً، إلا أنني مسرورة لأنني لم أتخلَّ عنها.

- وهل تصدقين... أنني مسرور كذلك... وممتنّ؟.

توسلت إليه مستهزئة: «آه... أرجوك.. لا تبالغ... ماذا سيحدث لفابيو؟ وهل ستلاحقه؟ هل ستوجّه إليه أية تهمة؟».

هز الماركيز رأسه.

- لم يكن خاطفاً جاداً! لم يكن أكثر من متطفل كريه.. وأتصور أنها ليست المرة الأولى التي يُدفع له فيها ليذهب.

قالت بلهجة ساخرة.

- لكنه هذه المرة أساء التقدير.
- كما تقولين تماماً.
- أهنئك سنيور.. أرجو في المرة القادمة ألا تضطر إلى عملية بوليسية قاسية لمنع هرب باولا.

رد باقتضاب: «لن يكون هناك مرة أخرى.. اعتقدت أنها محمية بشكل كاف. على أي حال، كنت مخطئاً... وسأضطر إلى اتخاذ خطوات أخرى».

قالت وقد ألحّ عليها فضولها: «لا تقل إنك ستلجأ إلى فكرة المدرسة التي في سويسرا.».

تأملتها العينان السوداوان: «يبدو أنها فتحت لك قلبها».

قابلت نظرته بثبات: «أحياناً يسهل علينا التحدث إلى غرباء.. إلى شخصٍ لن نراه مرة أخرى.. وهذا ما يجعلني أسأل عما إذا كنت حرة في الذهاب الآن».

- طبعاً.
- لن أعتبر شيئاً بحكم المؤكد.

وأضافت لنفسها: «ليس قبل أن أضع على الأقل مسافة مئة كيلومتر بيننا».

ـ أنا آسف على مقاطعتي إجازتك بهذه الطريقة المقيتة.. هل تنوين متابعة السفر إلى سيتاشيو؟.

ـ لست واثقة بعد من خططي.

التقط حقيبة يدها وأعاد الأشياء داخلها إلا جواز سفرها الذي فتحه وتفحّصه للحظة. ثم نظر إليها، وشفتاه تبتسمان ابتسامة ملتوية خفيفة وقال بصوت رقيق:

ـ صورتك ليست منصفةً لك.. تشيارا.

مر زمن طويل لم يستخدم فيه أحد الترجمة الإيطالية لاسمها وذلك منذ وفاة أمها...

عضت كلير شفتيها بقوة، خافضة نظرها إلى الطاولة؛ ففي صوته لمسة غريبة.. شيء يثير الاضطراب.. لكنه لذيذ.. أضاف باللهجة الهادئة ذاتها.

ـ هل تودين رؤية (باولا)؟ أنا واثق من أنها سترغب في شكرك.

بدت جدران الغرفة تتحرك بشكل غريب، وأذهلها شعور مفاجىء مجنون بعثه قربه منها. وأحست أيضاً أنها أكثر حظاً الآن مما كانت عليه طوال اليوم بل مما كانت عليه في أي وقت مضى.

فكرت: يجب أن أتحرّك من هنا... أبتعد عن هنا.. أجبرت نفسها على الابتسام ولكنها كانت ابتسامة متوترة:

ـ أفضل أن أترك الأمور على ما هي عليه.. أرجوك قل لها إنني أودعها وأتمنى لها حظاً طيباً... وهو ما تحتاجه حقاً.

رد ابتسامتها: أوه.. أعتقد أننا جميعاً نصنع بأنفسنا حظنا الجيد.. ألا تظنين هذا؟

ـ الآن لم أفكر في هذا كثيراً!

ومدت يدها: «هل لي بحقيبتي أرجوك؟».

مرت لحظة مشحونة بالتوتر كانت متأكدة فيها من أنه سيجبرها على التقدم لأخذها منه.

لكنه ناولها الحقيبة بدون تعليق.. كانت يداه قويتين وهذا ما لم تستبعدها، وكفاه مربعين وأصابعه طويلة.. يدان قويتان قويتان.. لكنها تساءلت: أيمكن أن تكونا لطيفتين..؟.

وسرعان ما تماسكت. فلن يمكنها أن تتحمل الانسياق في هذا النوع من التخمين.. فهذا ببساطة غير آمن. غويدو بارتالدي ليس آمناً! وأخذت تلهي نفسها بتفحص محتويات حقيبتها.

بدت الدعابة في صوته: «ستجدين كل شيء فيها».

ـ كما قلت... لن أعتبر أي شيء مضموناً.

وجدت ساعتها ووضعتها في معصمها.. لكن أصابعها تعثرت في تثبيت قفلها.

ـ هل أساعدك؟.

ـ لا.. شكراً لك.

أبقت رأسها محنياً وهي تكمل تثبيت الساعة. ثم لفت نظرها شيء آخر في الحقيبة جعلها تجفل! أخرجت مغلفاً: «مهلاً لحظة... هذا ليس لي».

ـ افتحيه.

كان في المغلف مال... أوراق نقدية من فئة اللير. المبلغ كبير وقد وصل قيمته إلى ألف جنيه.

رفعت نظرها فتلاقت نظرتها بنظرته وقالت: «ما هذا؟ أهو فخ؟».

ـ بالعكس. إنه تعبير ملموس عن ندمي عن كل ما عانيته.

ـ آه.. طبعاً.. حلّ الرجل الثري لكل شيء..

ـ أملت أن يغيّر هذا نظرتك إليّ.

هزت كلير رأسها: «أنا آسفة سنيور.. قد تكون اشتريت قوة البوليس

www.rewity.com

المحلية. . لكن مشاعري ليست للبيع لا الآن، ولا غداً».

نطقت بهذه الكلمات بسهولة. . وفيما أخذ غويدو بارتالدي يراقب بصمت ودون حراك. . أخذت كلير المبلغ، ثم رمته في الهواء. قالت «أعتبر أن كل دين مُلغىً ماركيز!».

ثم سارت مسرعة حول الطاولة لتمر به نحو الباب. . . كان المقبض لزجاً في راحة يدها. . لكنها تمكنت من لويه وفتحت الباب.

توقعت أن يمنعها بالقوة من الرحيل. . . وانتظرت أن يصبّ علي غضبه؛ فالاستخفاف بعملة أي بلد هو على الأرجح نوع من الإهانة. لكن لم تسمع صوتاً من ورائها أو حركة بل ران صمت كان شرّيراً في شموله واستمرت في السير ومنعت نفسها من الركض.

ـ سنيوريتا.

خرج ضابط شرطة من أحد المكاتب المصطفة في الممر، فارتدت مذعو وكادت تصرخ، لكنها أدركت أنه يحاول أن يدلها على مكان وجود سيارتها تمكنت من إخراج كلمة شكر مخنوقة، وتابعت طريقها وهي تع النظرات الفضولية التي تلاحقها.

وجدت الفيات الصغيرة. جلست وراء المقود للحظة، حدّقت بصم إلى الأمام عبر الزجاج، ثم انحنت ووضعت رأسها على المقود وتركت العن لدموعها التي حبستها في الساعات الماضية.

حين انتهت، جففت عينيها بكومة محارم ورقية ووضعت المزيد من أ الشفاه، وشغّلت محرك السيارة.

كلما أسرعت في العودة واستطاعت نسيان هذا اليوم كلما كان ذل أفضل. لكن هذا لم يكن أمراً سهلاً. فقد وجدت أنها تنظر باستمرار إ المرآة، وقلبها يطرق كلما ظهرت سيارة خلفها.

وبخت نفسها. . أنت سخيفة. . لقد انتهى كل شيء. . ولن تر مجدداً.

إذن لماذا كانت تشعر بوجوده وكأنه يلمسها؟ ولماذا ما تزال تسمع صوته وهو يقول: «تشيارا؟».

* * *

ـ مياكارا! يا له من كابوس عشته. . . والآن أخبريني كل شيء. هل سجنت حقاً؟!.

كان صوت ڤيوليتا كالعسل الدافىء. . كانتا تجلسان في «الصالون» تحتسيان القهوة القوية التي تستهلكها ڤيوليتا في كل ساعات النهار والليل، وتأكلان بعض الكايك باللوز.

اعترفت كلير: «حسن جداً. . . ليس في زنزانة».

كان الاستقبال الدافىء الزاخر حيوية ومرحاً، من قبل عرابتها ومن قبل انجلينا، مدبرة المنزل المترهلة المبتسمة دائماً، كان بالضبط ما تحتاج إليه لتشفى من الجراح التي أصابتها في يومها. الآن وهي تجلس في هذه الغرفة الهادئة النائية، تمكنت من سرد قصتها على أذنين محبتين عطوفتين ثم استطاعت أن تبعد التوتر عنها. ارتجفت تنهي قصتها.

ـ لكنني أحسست بالسقم. . . لم أعرف ماذا أفعل، ولم أستطع التفكير بشكل منطقي. والآن بت أدرك السبب الذي يدفع الناس للاعتراف بأشياء لم يرتكبوها. . وهناك ذلك اللعين، غويدو بارتالدي، الذي تصرف وكأنه يملك مركز الشرطة.

ردت ڤيوليتا وهي تهز كتفها بطريقة متسامحة.

ـ حسن جداً. . تعرفين من هو بالطبع؟.

ـ إنه ماركيز. . . كان ذلك أوضح من الشمس.

فتحت ڤيوليتا يديها بطريقة دراماتيكية.

ـ ليس هذا فقط. . حتى أنت التي لا تهتمين بمثل هذه الأمور سمعت بأسرة بارتالدي، تجار الجواهر الكبار.

قالت كلير ببطء: «يا إلهي! لهذا كان الاسم مألوفاً إذن. لكن لم يخطر

ببالي. . . وبما لم أتوقع أن أجد ارستقراطياً يدير تجارة جواهر. . أو ليس هذا أقل من شأنه بقليل».

ـ إنها ليست مجرد تجارة، كارا. فمع أسرة بارتالدي، أصبح للعمل في الذهب والأحجار الكريمة شكل فني. . . ولقد بدأ هذا في القرن السادس عشر. كان هناك ابن صغير. . أرسله والده إلى المنفى بعد شجار بينهما، وبدل أن يتضوّر جوعاً عمل عند أعظم صانع للذهب في «سيّنا» وكان ذا موهبة وذوق وقدرة على التصميم وقد أورث هذا إلى الأجيال المتعاقبة. . في النهاية تزوج بابنة سيده واشترى العمل كله.

قالت كلير بجفاء: «وخير قادر على استغلال الفرص. . يبدو أنه أورث هذا أيضاً لذريته».

ـ حين ضعف الفرع الأساسي من العائلة، ومات، أخذت هذه السلالة اللقب والأملاك. . .

تمتمت كلير: «ولماذا لا يدهشني هذا؟».

ـ ولم يعد العمل مقتصراً على الذهب والمجوهرات فقط الآن. ما زالت شركتهم من أشهر الشركات في العالم، ولكن غويدو افتتح أخيراً سلسلة محلات تبيع أفضل المصنوعات الجلدية والعطور التي تموت النساء شوقاً إليها.

تنهدت بابتهاج: «عطره المسمى «تانتازيون» من عطور الجنة». من الطبيعي أن يسميه «الإغراء». ولا شك أنه هو من أطلق عليه هذا الاسم.

قالت بجفاء: «وثمنه باهظ أيضاً. أتذكره الآن. لقد رأيت المحل في روما. . كانت الواجهة تعرض كرسياً أبيض، وقفازاً طويلاً أسود مرمياً فوقه، ووردة حمراء على الأرض. . وكانت النساء يتدافعن للدخول إلى هناك».

ـ على أمل أن يكون بارتالدي بنفسه هناك، دون شك.

ـ إنه ليس وسيماً بالضبط. . كما اعتقد، لكنه جذّاب وهو إلى ذلك أعزب. لكنه لن يبقى أعزب طويلاً لأنه سيتزوج وصيته، تلك المسكينة الصغيرة.

هزت ڤيوليتا رأسها: «تشفقين عليها؟ لن توافقك النساء في الرأي».

نظرت كلير إليها مباشرة: «إنها لا تريده ڤيوليتا!».

ـ إنها اذن مجنونة. . من الرائع أن يكون الرجل ناجحاً وشهيراً وثرياً. . لكن، حين يكون له إلى ذلك جاذبية. . مثل بارتالدي فسيكون من الصعب مقاومته. . ولن تقاوم الصغيرة باولا كثيراً، كما أعتقد.

وجدت كلير أنها تضع قطعة الكايك من يدها. . فهي لم تأكلها، ولم تعد تريدها.

قالت: «تقول باولا إن له عشيقة في سينا».

قالت ڤيوليتا بارتياح: «وهذا يثبت أنه رجل، رجل، لا تكوني ساذجة يا صغيرتي! سيتغير كل شيء متى تزوج. ولو لفترة قصيرة على الأقل».

ـ لكن. . ما دام هناك عدد كبير من النساء الراغبات فيه، فلماذا يختار فتاة لا ترغبه؟

ـ من يعرف؟ لا شك أن لديه أسبابه. فالفتاة صغيرة وقابلة للتطور وهي إلى ذلك متحدّرة من أصل عريق. أظنه يرغب في أولاد. . . وستكون الفتاة مناسبة.

قالت كلير بشراسة مفاجئة: «حسن جداً. . ».

ووقفت على قدميها: «حبيبتي. . هل تمانعين لو استرحت قليلاً قبل العشاء؟ لديّ صداع. ». . .

تعاطفت ڤيوليتا معها: «يا للمسكينة. . وأنا كنت أزعجك بحديثي. . اذهبي وأستلقي مياكارا. وسأقول لأنجلينا أن تعطيك بعضاً من أقراصي الخاصة. . . وستجدين أنه سرعان ما يزول هذا الصداع».

فكرت كلير وهي تصعد الدرج الرخامي الملتوي «قد يزول الصداع».

www.rewity.com

أما هذا الشعور بالفراغ المريع الذي يعذبها فلن يزول أبداً . . . إلا إذا تظاهرت أنه غير موجود.

ولكن، هل من السهل أن تصرف النظر عنه بمثل هذه السهولة؟ إنه موجود. . في داخلها. . وكأنه فجوة كبيرة مؤلمة.

بعدما استلقت على السرير أخذت تحدّق إلى السقف المزخرف بالذهب وإلى المروحة المتحركة ببطء فوقها. لم تستطع إغلاق عقلها عن صورة غويدو بارتالدي، وعينيه الخارقتين المتفرّستين بعينيها وكأنهما شعلتان سوداوان. . أو عن صوته. . . وهو يناديها «تشيارا».

وهذا بالتأكيد هو أسوأ الأمور.

* * *

٣ ـ المسرح يخسر ممثلة

بعدما تناولت كلير تلك الأقراص التي جاءت بها أنجليكا، سرعان ما ركنت إلى النوم، لتصحو وهي أكثر هدوءاً وأكثر تماسكاً.

غطست في المياه الدافئة المعطرة فساعدها ذلك على استعادة المزيد من توازنها. ثم أكملت مع تلك السوائل ماء الكولونيا والعطور الخاصة من وسائل العناية بالجسم مما كانت تفضله فيوليتا.

فكرت وهي ترتدي ملابسها أن الأمسية ستكون ممتعة لأنها ستخلو من المدعوين.

نعم وهل هناك ما هو أجمل وأمتع من الانضمام إلى فيوليتا في التّراس الوردي حيث تشربان وتتناولان العشاء وسط الأنوار والموسيقى؟!

تنهدت كلير بسعادة. . ثم راحت تبحث في ملابسها التي سبق وأحضرتها، فتجاوزت قمصانها العادية والتنانير واختارت ما لم تكن ارتدته سابقاً، فستاناً بسيطاً طويلاً حتى الكاحلين بياقة مثلثة الشكل. وقد أبرز لونه الياقوتي الأحمر لون شعرها الشاحب وأضفى دفئاً على بشرتها العاجية.

إنه أحد أفضل ما اشترته. . ألقت نظرة طويلة إلى نفسها في المرآة.

عادت فأضافت (الماسكارا) إلى رموشها ثم أضافت اللون الوردي على الشفتين. بعد ذلك همت بالنزول إلى الطابق الأرضي. وما إن وطئت أرض الصالون، في اتجاه الأبواب الزجاجية الطويلة المؤدية إلى التّراس حتى طرقت

www.rewity.com

سمعها ضحكة ڤيوليتا الساحرة والعميقة!.

توقفت كلير متأوهة! إذن هناك مدعوون.. ولكنها لم تقل شيئاً عن هذا؟ فكرت أن بإمكانها تركهم بعد العشاء وادعاء التعب... ثم العودة لتنام باكراً.

ابتسمت ثم تابعت المسير باتجاه الشرفة. كانت تهمُّ بإلقاء كلمات الترحيب عندما أوقفتها المفاجأة للمرة الثانية..! لأن ضيف ڤيوليتا الجالس إلى جانبها على المقعد تحت مظلة مخططة كبيرة.. كان غويدو بارتالدي.

شاهدها فهبّ واقفاً، منحنياً لها باحترام، فيما التمعت عيناه السوداوان وهو يراقب التعبير على وجهها المصدوم.

صمتت كلير غاضبة! فماذا عليها أن تفعل رداً على هذا؟

أخيراً وجدت صوتها، فقالت تسأل، ضاربة عرض الحائط باللياقات: «ماذا تفعل هنا؟».

تدخلت ڤيوليتا بشيء من التأنيب: «كلير... مياكارا... الماركيز يزورنا ليتأكد من أنك وصلت بسلام... وهذا لطف منه».

والتفتت إلى الزائر تهديه إحدى ابتساماتها الساحرة. كانت ترتدي ثوباً رمادياً من (الشوفين) يشعّ فوقه الألماس في عنقها وأذنيها.

وبدا الماركيز عارفاً بذوقها في الملابس، فالثياب العادية التي كان يرتديها، استبدلت ببذلة رمادية قاتمة أنيقة، وقميص أبيض ناصع تضم ياقته ربطة عنق حريرية بألوان الجواهر القاتمة.

وأدركت كلير بغضب ما تعنيه نظرات ڤيوليتا الملتهبة إلى غويدو...!

إنما لا يمكن أن تلام على هذا...! واشتد ضغط كلير على فمها.. ففي وقت مبكر من ذلك اليوم، ورغم خوفها الأحمق آنذاك، شعرت بأنه يملك جاذبية لا تقاوم.

قال بلطف: «لقد اعتذرت للسنيورا...... عن تطفلي بهذه الطريقة. لكن، كان علي أن أريح بالي. فحين افترقنا اليوم كنت شديدة السخط».

سألت ببرود: «أحقاً؟ خلتني كنت هادئة آنذاك».

ـ ولكن عرّابتك أخبرتني للتوّ بأنك استرحت بسبب صداع.. فأرجو أن تكوني قد عُوفيت تماماً.

ردّت باختصار: «رأسي بخير. لكن الألم يبدو الآن وكأنه في عنقي».

قالت ڤيوليتا بسرعة.

ـ اقرعي الجرس لأنجلينا يا عزيزتي.. أنا والماركيز نستمتع بالعصير مع الصودا.. كما أعرف أنه شرابك المفضل كذلك.

كان من المهم جداً لكلير أن تجيب بحدة بأنها لا تريد شراباً ولا عشاءً، لم تنسحب بطريقة واضحة. غير أن هذا سيحرج ڤيوليتا.. التي تبدو متأثرة بوجود هذا الزائر غير المتوقع.. وكلير تحبها أكثر من أن تخاطر بإحراجها.

في تلك اللحظة، خرجت أنجلينا بسرعة إلى الشرفة مبتسمة ابتسامة مشرقة، حاملة العصير بالصودا وطبقاً من الكروسيني الصغيرة التي وضعتها على الطاولة الحديدية أمام ڤيوليتا.

إذن فعلى كلير أن تلوذ بالهدوء... وببطء اختارت مقعداً إلى الجانب الآخر من عرّابتها، متعمّدة وضع ڤيوليتا بينها وبين غويدو بارتالدي، الذي عاد إلى مقعده مبتسماً ابتسامة طفيفة مثيرة للسخط.

قال: «ورغبت كذلك في التأكُّد من أن معطفك سيعود إليك ما إن يتم تنظيفه».

ابتلعت كلير بعض العصير: «شكراً لك».

ـ لا شيء تشكريني عليه.. كانت باولا آسفة لأنها لم تتمكن من شكرك، شخصياً.

ـ لا يهم.

وترددت كلير لأنها غير راغبة في إطالة الحديث، وغير راغبة أيضاً في نيل علامات سوداء من ڤيوليتا لعدم لباقتها لذا قالت: «كيف... حالها؟».

www.rewayat2.com

هز كتفيه: «غير سعيدة.. لكن هذا طبيعي».

ـ طبيعي تماماً.

تابع وكأنه لم يسمعها: «لكنها صغيرة... وسرعان ما تتجاوز تعاستها! في الواقع، أنوي أن أبذل جهدي لأساعدها».

أبقت كلير صوتها خالياً من أي تعبير: «باولا محظوظة».

قال برقة: «أشك أن توافقك الرأي.. لكنني أعرف أن علاقاتها الاجتماعية هنا محدودة. كنت أشرح للسنيورا أن هذا سبب آخر لزيارتي، وآمل أن تقبلا دعوتي على العشاء في ڤيلا منيرڤا.. مساء الغد».

أسرعت ڤيوليتا تقول: «قلت للماركيز إننا سنكون مسرورتين، أليس كذلك؟».

وضعت كلير حلوى «الكروسيني» من يدها بدون أن تمسها. وفكرت: لا.. ليس الأمر كذلك. وغويدو بارتالدي يعرف أنها تفضل أن تغلي في الزيت الحار على أن تتناول العشاء في منزله النتن.

وكافحت ليبقى صوتها هادئاً: «شكراً لك! إني أتطلع شوقاً لهذا».

قال بلطف: «أنت كريمة جداً».

وارتدّ إلى ڤيوليتا، وأخذ يعاملها بفتنة تكاد تقارب حدود الغزل..

جلست كلير متصلبة في مقعدها، تمسك بكوب الشراب وكأنه بات الملجأ الأخير لها، فلقد أحسّت فجأة بالخوف، مرة أخرى.. لم تصدق أنه قام بتلك الزيارة اهتماماً بسلامتها، أو بإعادة معطفها إليها! لم تصدق ذلك لا من قريب ولا من بعيد، فهناك ما هو أكثر من هذا بكثير. لقد اختبرت قوة هذا الرجل وسلطته في باريزو، آنذاك، وتجرأت على معاداته. إن المال الذي قدمه لها هو نقطة في بحر ثروته.

لكن هذا لا يعني أنه استمتع برؤيته يُلقى... في وجهه.

لا! ليس غويدو بالرجل الذي يهزّ كتفيه غير مكترث بمثل هذا النوع من الإهانات ولا سيما من امرأة!

أتراها خائفة، الآن، من أن تعيش أكثر فتندم أكثر على ما فعلت؟.

شيء ما حذرها من أن خلف الابتسامة واللباقة الحريرية فولاذ... وخلف الفولاذ، متوحش كامل. تعرف هذا كما تعرف صورتها في المرآة..

ظهرت أنجلينا في الشرفة هاتفة: «اتصال هاتفي لك سنيورا.. إنه من سنيورا كايراني».

ـ أنا قادمة.

ووقفت ڤيوليتا، فوقف غويدو بارتالدي معها فسارعت تقول: «لا... لا.. ماركيز، أرجو منك أن تبقى. لن أغيب طويلاً. وستكون كلير، في غيابي، مسرورة لتسليك».

ـ يا للأسف... يجب أن أعود..... أتوقع وصول عمي من ڤيينا هذا المساء. لكنني سأنتظر بشوق لأرحب بك وبالسنيورينا في عالمي المتواضع هذا.......... إلى اللقاء.

وأخذ يد ڤيوليتا ورفعها إلى شفتيه.

حين ذهبت ارتدّ لينظر إلى كلير، التي نظرت إليه بعدوانية فقال ضاحكاً: «يا إلهي! لو كنت سأتعشى الليلة هنا، لكان علي الحذر قبل أن أتناول طعامي».

قالت بصوت أجش: «ماذا هناك؟ ماذا تريد؟».

قال ببطء: «بالنسبة إلى هذا، لا أظن أنني قررت بعد... لكن حين أقرر، تشيريا، ثقي بأنك أول من سيعرف!.. والآن تمني لي ليلة سعيدة».

وقبل أن تستطيع المقاومة، مد يده ليشدها عن كرسيها فأصبحت واقفة على بعد انشات قليلة منه.

انحنى نحوها مجيلاً نظره بين عينيها الخائفتين وشفتيها المنفرجتين.

سمعت نفسها تقول: «لا».

ضحك بعذوبة، وبيد حرة راح يلامس خدها، ثم مرّر إبهاماً إلى خط عنقها، فارتجفت.

وصلت أصابعه إلى كتفها ثم أحست بأنفاسه الحارة على بشرتها.

همس: «أنت الإغواء بحد ذاته . . . . . .».

ثم تركها مبعداً يده عنها. وقبل أن تستطيع الحركة أو الكلام، كان غويدو بارتالدي قد رحل، متوجهاً نحو الدرج فالحديقة.

وقفت كلير تنتفض.. لم تكن قادرة على السيطرة على نفسها. فمع أنه مسها لمسة سريعة إلا أنها تشعر وكأنه وسمها... وأن لحمها الآن يحمل دلالة على امتلاكه لها.

وهذا كما تعرف ليس سوى البداية!

أطفئت أنوار الشرفة، وظهرت الفراشات على الفور، منجذبةً إلى النور يشدّها إليه لترتمي فوقه راضية! وأنا أعرف بما تشعر به هذه الفراشات.

عادت ڤيوليتا. وقالت متنهدة: «هل رحل الماركيز؟ يا للأسف.. ليتني أصغر بعشرين سنة! اجلسي كارا... ستحمل إلينا أنجلينا شراباً».

لم يبعث العشاء في نفسها الراحة التي توقعتها كلير. فرغم خبرة ڤيوليتا بالحياة، كانت مُثارة لأنها تلقت دعوة إلى ڤيلا مينيرڤا.

قالت: «يظهر أنه منزل قديم جداً. ويقال إنه يعود إلى أيام حكم الاتروريين الذين حاربوا الرومان من أجل السيادة وفشلوا».

فكرت كلير وهي تتلهّى بخبزها: «أمر مؤسف! فلو كانوا ربحوا الحرب لما رأت أسرة بارتالدي نور الحياة!».

وسألت: «ألم تزوري المكان من قبل؟».

ردت ڤيوليتا والأسف ظاهر في لهجتها.

ـ لا... لكننا هنا. في سيناتشيو، لسنا جيراناً مقرّبين إلى ڤيراجيو...

ـ اذن فمن المؤسف أننا وافقنا على الذهاب.. خاصة إذا كان المكان بعيداً

تنهدت ڤيوليتا بسعادة: «الماركيز تنبه للأمر لذا سيرسل لنا سيارة.. إنه يفكر في كل شيء. أعتقد أن علي أن أشكرك لهذه الدعوة يا عزيزتي».

عضت كلير شفتيها.

ـ لست أدري لماذا.

ـ بالطبع هو يرغب في التعويض لك عن كل الارتباك والأشياء الكريهة التي مرت بك اليوم.. لقد بدا لي غارقاً بالندم لأنه سارع بالحكم عليك.

وفكرت كلير باكتئاب: «إنه غارق بشيء ما.. لكنني لا أظنه وخز الضمير!».

أضافت ڤيوليتا: «شاهدت الماركيز في عدة مناسبات اجتماعية.. ولكنه في المنطقة لا يتواجد كثيراً. ربما حين يتزوج، ويصبح له عائلة، سيتغير هذا. لكن أملاكه تدار بشكل رائع في غيابه... ويقال إن مديره انطونيو ليروتشي، رجل شاب ساحر، ومخلص جداً وكفوء».

وتابعت حديثها، وكانت كلير تستجيب بأصوات تنم عن اهتمامها مع أنها في الواقع كانت تحاول إبعاد أفكارها عن الموضوع.

لقد خططت للبقاء في سيناتشيو لمدة اسبوعين ولكن يبدو أن عليها إعادة النظر في هذه الخطة. غداً ستتصل بوكالة التوظيف وتطلب منهم أن يجدوا لها عملاً يبرر عودتها السريعة إلى انكلترا.

وسيمر زمن طويل قبل أن تقبل بعمل آخر في ايطاليا... لقد واجهت السنيور دورلي وتعاملت معه.. ولكن السنيور دورلي ليس مشكلة أبداً إذا ما قورن مع غويدو بارتالدي.

فدورلي مجرد فاسق وأحمق.. أما الماركيز بارتالدي فلديه برنامج مختلف كل الاختلاف وهي تعرف هذا جيداً.

كانت غرائزها جميعاً تصيح بها أن تبعد نفسها على الفور عن نفوذه.

عليّ أن أضع الحادث المؤسف وراء ظهري وأن أبدأ حياتي من جديد..

لذا لا يمكنني أن أتحمل البقاء.

قالت ڤيوليتا تخطط: «سنذهب في الصباح إلى بيروجيا.. لنجد لك فستاناً تلبسينه.. فستاناً يبرز أفضل مفاتنك، وسيكون هذا هديتي لعيد

سيلادك».

أجفلت كلير: «أنا واثقة من أن لدي ما هو مناسب».

هزت ڤيوليتا رأسها: «حين يتعامل المرء مع أسرة بارتالدي فلا سبيل للتفكير في المناسب بل في الأنسب. ثم أنت متواضعة جداً في مظهرك. تحتاجين إلى شيء بسيط ومذهل.. محيط مناسب للجواهر.. وهذا شيء يفهمه الماركيز جيداً».

ارتاعت كلير: «ڤيوليتا.. لست أدري بماذا تفكرين.. لكن...».

هزت ڤيوليتا كتفيها: «أفكر أن من المناسب لك أن يعجب بك رجل ارستقراطي جذاب.. فهل كان هناك أحد بعد ما كان اسمه؟ جايمس؟».

ردت كلير بهدوء: «لا... ولم أرغب في أحد بعده».

احتجّت عرّابتها: «لكن هذا خطأ.. فأنت فتاة دافئة وحلوة، ولا يمكن أن تقفلي على نفسك باب الحياة لأن شاباً غبياً فضل عليك فتاة أخرى».

أنكرت كلير.

- أنا لا أغلق على نفسي.. فلدي عملي الذي أحبه وأصدقائي وأنا أسافر كثيراً. وثمة أشخاص كثر يحسدونني على هذا.

لوحت ڤيوليتا بيدها: «أنا لا أتكلم عن هؤلاء.. بل عن الحب، أيتها الفتاة السخيفة. عن الحب الغامر الكامل.. كحب دانتي لبياتريس وبيتراش للورا».

تنهدت كلير.

- وروميو لجوليت... كما أعتقد... وكلنا نعرف ماذا حدث لهم.

- اوه.. حين يكون لديك هذا المزاج فمن الصعب التكلم معك.

حاولت كلير أن ترد: «هذا صحيح تماماً إذا كنت تحاولين الجمع ما بيني وبين الماركيز بارتالدي».

تابعت: «أنا آسفة حبيبتي، لكن الماركيز هو آخر رجل في العالم قد

أتورط معه.. فمجرد المرور في طريقه كان أكثر من كاف.. ولا أرغب أن أجذب اهتمامه أكثر. (صمتت قليلاً.. ثم أضافت بحذر) يبدو أنك نسيت أنه اختار باولا».

- بوه.. لم يعلن عن هذا قطّ ولم يخطبها رسمياً.. فلو كنت مكانك كارا.. لما ترددت!

وتنهدت بشكل مبالغ فيه.

- منذ ساعتين، بدا أنك تعتقدين أن باولا مناسبة له.

ابتسمت ڤيوليتا، وقالت ببساطة: «لم أكن قد قابلته بعد».

رغم إرهاقها، وجدت كلير أن النوم مراوغ يزيد من إحباطها تلك الليلة.. وبدا الفراش المريح وكأنه محشو بالرمال.

أخذت تتقلب من جانب إلى آخر في السرير الكبير، سعياً إلى مكان مريح فيه. وفي هذا الوقت كان عقلها يفكر دونما توقف حارماً إياها من الراحة وكل فكرة كانت تخطر لها كانت تقودها إلى غويدو بارتالدي.

شيء آخر تشكره عليه، وضربت الوسادة تسوّيها باستسلام.

بسبب هذا الأرق كانت فتاة متعبة مظللة العينين هي التي انضمت إلى ڤيوليتا على الفطور المؤلف من اللحومات الباردة والفاكهة الطازجة والقهوة.

لم تكن قد فعلت شيئاً لتحسين مظهرها أو إخفاء ما فعلته بها ليلتها السيئة.. وإذا قُدّر لما خططته في ساعات الليل المتأخرة أن ينجح فمعنى ذلك أن تبدو كالأموات. سألتها عرّابتها: «هل أنت مريضة كارا؟ تبدين شاحبة كثيراً».

قالت كلير مبتسمة: «سأكون بخير».

- وهل نسيت أننا ذاهبتان إلى بيروجيا هذا الصباح.

- بل أتوق إلى هذه الرحلة.

البارحة فكرت أن رفضها الذهاب سيثير ريبة عند ڤيوليتا.

أوقفتا السيارة في الساحة وصعدتا السلم المتحرك إلى «روكا باولينا».

وكانت كلير تظن أن اضطرابها إنما هو من فعل الصعود من باطن الأرض إلى بقايا روكا ذات السقف المقنطر والممرات المظلمة. إنه مكان يثير الاضطراب.. وكأنها في كهف في باطن الأرض.

لكن هذه الشبكة من الممرات المعقدة هي كل ما تبقى للبيروجيين من القلعة البابوية العظيمة التي بينت أساساً لإخضاع عجرفتهم.

يبدو أن العجرفة صفة عامة بين السكان.. خاصة الرجال! بهذا كانت تفكر كلير وهما تخرجان إلى حيث الشمس الساطعة في «كورسو ڤانوتشي».

هذه الليلة، تنوي أن تحطم بعض الحجارة في القلعة التي بناها الماركيز بارتالدي حول نفسه.

ڤيوليتا كسائر النساء اللاتي لا يشكل المال لهن غرضاً بحد ذاته إذ راحت تختار مشترياتها بتأن... وبعد ساعتين بدأت كلير تتساءل عما إذا كانت تنوي أن تزور كل محلات بيع الثياب في المدينة.. وخلال هذه الجولة شاهدت بضعة فساتين... لكن ڤيوليتا صرفت النظر عنها جميعاً.

ـ أعرف عمّا... أبحث.. وكل ما رأيناه ليس ما أبحث عنه.

لكنها أخيراً قالت: «آه... جرّبي هذا مياكارا».

كان فستاناً طويلاً تنورته الحريرية السوداء واسعة وكماه طويلان وياقته مربعة عريضة.

في الواقع... كان يلتف تماماً حول جسمها ويتعلق بخصرها النحيل ووركيها المستديرين وكانت التنورة مفتوحةً على جانب واحد إلى ما فوق الركبة.

احتجت كلير: «ڤيوليتا... لا أستطيع ارتداء هذا!».

لكن كلماتها لقيت أذناً صمّاء وتبادلت عرّابتها والبائعة نظراتٍ ناطقة، وحُمل الفستان ليوضع في علبة لفّت بالأوراق.

كانت بطاقة اعتماد ڤيوليتا تحوّل لشراء صندل أسود مرتفع الكعبين،

وحقيبة سوداء، ولما كان الوقت قد حان لإقفال المحلات لفرصة بعد الظهر الطويلة، أعلنت ڤيوليتا مبتسمة: «مُرضٍ جداً... والآن، مياكارا، سنستمتع ببعض الغداء».

وفيما كانتا في الشارع نبهتها عرّابتها: «هل رأيت هذا الشارع؟ إنها محلات بارتالدي.. فلنلقِ نظرة».

ووجدت كلير نفسها لاإرادياً تُشد إلى المحل... ما كان معروضاً في الواجهة كان غالي الثمن وفاخراً... مجموعة عقود ذهبية رائعة الطراز، قلادات أساور وخواتم، إضافة إلى مجموعة مغرية من الزينة، وأحست أنّ عليها أن تغمض عينيها لتتجنب أن تصاب بدوار.

قالت ڤيوليتا متنفسة: «جميلة... أليست كذلك؟».

ردّت كلير: «مذهلة.. ولو أنها مُبالغٌ فيها كثيراً».

أعجبت في سرّها بالواجهة الزرقاء التي تعرض فيها أحجار كريمة نصف ثمينة.. وشردت عيناها من تلألؤ التوباز إلى اللازورد الغامض، وتوهج الجاد، وكلها محاطة بالذهب.

قالت ڤيوليتا شارحة: «معظم التصاميم مأخوذة من أصل إتروري... أما الأخرى فروحها تعود إلى عصر النهضة.. ألا تعتقدين هذا؟ ويقال إن غويدو بارتالدي هو المرشد وراء كل هذا، وأن له روح أميرٍ من عصر النهضة».

قالت كلير بصوت أجوف: «أحقاً؟».

أحسّت فجأة أنها غريبة.. في هذا المكان... تحدّق إلى هذا الجمال الذي له يدٌ في إبداعه.. وكأنها تتطفّل على شيء شخصي عميق له. قررت: حان وقت التصرف...

قطّبت بتعاسة: «ڤيوليتا.. أنا لست جائعة كثيراً، هل تمانعين لو توجهنا مباشرة إلى المنزل؟.. أنا.. أنا أشعر بدوارٍ خفيف».

سارعت ڤيوليتا تقول: «إذن لن نستخدم السلم المتحرك».

وفرقعت بأصابعها تستدعي تاكسي ينزلها عن التلة الطويلة إلى مكان وقوف السيارة.

أحست كلير بوضاعة النفس لأنها كانت ترى نظرات القلق التي تحدجها بها ڤيوليتا. حين وصلنا إلى ڤيلا روزا، همست معتذرة وأسرعت إلى غرفتها.

خلعت ملابسها وارتدت دثاراً قطنياً، واستلقت على السرير، تراقب أشعة الشمس تتلاعب بمصاريع النافذة.

فكرت: يا لي من امرأة وضيعة.. لكنها تلجأ إلى هذا من أجل قضية محقة.. سأرفض بشدة الذهاب إلى ڤيلا ميترڤا للعشاء هذه الليلة.

في النهاية غفت قليلاً. ولكنها استيقظت عندما وصلت ڤيوليتا مع طبيبها الذي استدعته من سيناتشيو.

تأوهت كلير في نفسها، واستسلمت للطبيب الذي شرع يقيس نبضها، وصوت قلبها، وضغط دمها.

أجابت رداً على سؤاله: «أظنه الضغط العصبي.. لقد شاهدت كوابيس ليلة أمس.. ولا أستطيع التوقف عن التفكير في أولئك وأسلحتهم...!».

ثم ارتجفت وغطت وجهها بيديها.

أصدر الطبيب أصوات الصدمة ثم أمرها بالراحة التامة وبالهدوء، وبمهدىء للأعصاب، وافقت كلير عليها كلها بخنوع ظاهر وبشعور من النصر.

بعد خروج الطبيب قالت ڤيوليتا بحزن ظاهر.

ـ أمر مؤسف كثيراً.. سأتصل بڤيلا ميترڤا لأعتذر من الماركيز عن انضمامنا إليه على العشاء.

رفعت كلير نفسها على مرفقها، وقالت بلهفة: «لكن.. لا داعي لهذا.. بإمكانك الذهاب حبيبتي.. وسأبقى هنا هادئة... كما أمر

الطبيب».

صرخت العرّابة: «لا يمكنني تركك. أنت مريضة.. ويجب أن أعتني بك كارا».

ـ بأن تجلسي هنا لتراقبيني وأنا نائمة؟ هذا ما سأفعله إن أخذت هذه الأقراص.. ڤيوليتا.. هذا أمر سخيف ولن أسمح لك به.

احتجت ڤيوليتا... لكن كلير منعتها بحزم.

ـ تعرفين أنك تتوقين إلى رؤية المنزل.. فاذهبي وعندما تعودين تخبرينني عما رأيته كما يمكنك نقل أسفي الشديد الصادق للماركيز.

قالت ڤيوليتا مترددة: «حسناً.. إذا كنت متأكدة من ذلك! وسنكون أنجلينا هنا بالتأكيد لتراقبك».

وتراقبني أستعيد عافيتي بسرعة البرق ما إن ترحل سيارة الماركيز.

حين ذهبت عرابتها لترتدي ملابسها، خرجت كلير من السرير وجلست قرب النافذة المفتوحة، تراقب أشعة شمس بعد الظهر تتراقص على أوراق الدالية المزهرة التي تنمو إلى جانب شرفتها.

وفيما كانت جالسة هناك رأت السيارة التي أرسلها غويدو في الوقت المحدد.

لكن.. مالم تتوقعه هو رؤية غويدو بارتالدي وهو يترجل من مقعد السائق، ويتطلع إلى واجهة المنزل مقوّماً. تأوهت كلير وتراجعت إلى ما وراء المصراع الخشبي.. لقد جاء بنفسه ليقلنا.. وأرجو ألا يراني.

هرعت إلى الفراش فشدت الأغطية الرقيقة حتى ذقنها، وكأنها تسعى إلى نوع من الحماية.

إن كانت محظوظة، ستطل ڤيوليتا لتودّعها، فتظنها نائمة، فتتركها دونما إزعاج.

لكن الحظ لم يبتسم لها. فبعد بضع دقائق سمعت طرقاً على بابها ثم جاءها صوت ڤيوليتا.

- لديك زائر.. مياكارا.

أرادت كلير أن تصيح بأعلى صوتها: لا... لكنها أبقت عينيها مغمضتين، وأنفاسها خافتة منتظمة.

سمعت وقع أقدام تقترب بهدوء. وهمست ڤيوليتا: «آه.. المهدىء الذي أعطاها إياه الطبيب سرى مفعوله».

- هذا ما يبدو.

ربما كانت مخيلة كلير هي التي تصوّر لها ما لا وجود له. ولكنها تكاد تقسم أنها سمعت صوت غويدو بارتالدي العميق المتشدق سخرية وتسلية.

قالت ڤيوليتا: «المسكينة الصغيرة... لا بد أنها متعبة كثيراً وإلا لما اعتذرت هذه الليلة عن زيارتك.. إذ كانت تتوق إلى هذه الزيارة».

قال الصوت الكريه برقّة: «ستكون هناك فرص أخرى بالتأكيد. ولكن عليك إخباري إذا ما ظلت تلازم المرض؛ فلدي علاقة مع عيادة استشفاء جيدة قرب «اسبي» حيث يمكن أن تدخلها للمراقبة على الأقل من باب الحيطة والحذر. فلنذهب سنيورا ونتركها بهدوء».

سمعت كلير ڤيوليتا توافقه الرأي وتسارع للابتعاد... كانت خصلة من شعرها تدغدغ أنفها.. فأرادت أن ترجعها ولكن شيئاً ما من التعقل حذرها أن تبقى جامدة. فما زال غويدو بارتالدي واقفاً إلى جانبها ينتظر أن تفضح أنها لم تكن نائمة.

شعرت بحرارته وشمّت رائحة عطره... وكان الاعتراف بوجوده قد جعل بشرتها تقشعر.

- المسرح يخسر ممثلة بارعة سابيلا. لكنني لن أعذبك أكثر من هذا. نوماً هانئاً وأحلاماً جميلة.

أحسّت بيده ترجع خصلة الشعر إلى الوراء.. ثم أمسكت أصابعه بذقنها، تدير رأسها قليلاً على الوسادة ثم لثمت شفتاه جبينها بخفّة.

استلزم ذلك منها كل قوة إرادة لتستمر في الاستلقاء دون حراك ودون

تأثر، في الوقت الذي شعرت فيه برغبة جامحة لصفع هذا الوجه الأسمر الساحر ولإطلاق كافة النعوت التي يستحقها.

ولكنها عوض ذلك التزمت الهدوء، وما هي إلا هنيهة حتى سار مبتعداً، وأقفل باب غرفة النوم وراءه.. أم لعله لم يغلقه؟ ربما هذه خدعة أخرى منه.

لم تجرؤ على الاسترخاء إلا بعد ما سمعت سيارته تهدر مبتعدة... وجلست في السرير.

كان في عينيها دموع غضب مسحتها بظاهر يدها، كما يفعل الطفل. وأقسمت بصوت مرتفع مهتز: «غداً... غداً سأعود إلى بلادي، سأتأكد من أنني لن أرى ذلك النذل مرة أخرى.. أبداً.. أبداً».

* * *

www.rewity.com

٤ ـ طفلة أم امرأة؟

لم تعد ڤيوليتا من دعوة العشاء إلا بعد منتصف الليل.

شاهدت كلير المستلقية الأرقة، أضواء السيارة الأمامية تمرّ بسقف غرفتها، وأجفلت متسائلة ما إذا كان الماركيز قد أخذ دور السائق مرة أخرى وما إذا كانت ستتوقع زيارة أخرى.

لكن أحداً لم يقلق راحتها، حتى ڤيوليتا.

كانت قد أمضت أمسيةً يعكّرها القلق والأرق وفي النهاية دفعها الجوع للنزول إلى الطابق الأرضي، حيث قدمت لها أنجلينا، التي سرها أن ترى كلير بحال أفضل، حساء الفاصوليا ثم أتبعته بالبيض المخفوق والمقلي مع الفطر المفروم والبطاطا المسلوقة.

تمددت كلير على إحدى الأرائك في الصالون ثم شغّلت إحدى الاسطوانات الموسيقية ولكن الموسيقى لم تساعدها على الاسترخاء لأن تفكيرها ظلّ منحصراً بموضوع واحد... غويدو بارتالدي.

لكم يُسخطها أن تضطرّ إلى الاعتراف بتأثيره فيها.. وبدا أن صورته تكاد تكون محفورة في عقلها ولكم كرهت هذا.

لم تكن قادرة على التعامل مع ظهوره المباغت والعفوي في حياتها... لكنها لا تستطيع أن تتحدث عن هذا خوفاً من تكدير ڤيوليتا التي كانت سعيدة كثيراً بدعوة الماركيز.

لكن رجلاً يخطط للزواج، ولو كان زواج مصلحة، يجب ألا يعبث مع فتاة أخرى.. وعضت كلير شفتها.. هذا أمر كريه كريه.

بعد جايمس أقسمت أن تتجنب أي رجل ليس حراً في إلزام نفسه.. وكثيرون هم الذين من هذا الصنف. لكن، مع غويدو بارتالدي، الأمر يتعدّى مجرد عبث بسيط... وارتعش جسمها كله.

الجانب الأسوأ من الأمر هو تأكّدها من أنه عرف بالضبط مدى تأثيره فيها، وكان هذا نوعاً ماكراً من العذاب الهدف منه معاقبتها والتأكد من أنها لن تقوم بعد اليوم بما قد يزعجه.

اعترفت بانزعاج وكآبة.. إنه تصرف غبي قمت به... كان يجب أن أعرف أنني لستُ خصماً نداً له.. وكان من الأفضل لو شكرته بلطف ثم وضعت المبلغ في صندوق التبرعات في أقرب كنيسة.. ولكنت بهذا قد أرضيت كرامتي.. وما كان ليدري بما فعلت.

لكن فات وقت النوم.. وكل ما أستطيع القيام به الآن هو الرحيل.

منعتها الرحلة إلى بيروجيا، من اجراء المخابرة إلى الوكالة كما خططت. لكنها ستقوم بها في الصباح.. ثم ستحجز على متن أية رحلة مسافرة إلى بريطانيا ولن تهتم بالدرجة أو الوقت أو المطار.

في الصباح التالي أحست بالتوتر وهي تواجه ڤيوليتا على الفطور.. لقد توقعت سرداً مفصلاً عن كل ما حدث أو قدم في ڤيلا مينرڤا.

ويا للدهشة! اكتفت بأن قالت إن المنزل جميل حقاً، والطعام لذيذ وإنها استمتعت بالدعوة.. وبعد ذلك لاذت بالصمت على غير عادتها.

لكن كلير، وبشكل متناقض، كانت تتعطش لتعرف المزيد.

سألت: «وما رأيك بباولا؟».

ـ باولا؟ آه الفتاة الصغيرة.. بدت لي كئيبة. أظن أن أملها خاب لغيابك وعدم تلبية الدعوة وهذا في الواقع ما شعر به الجميع. (ونظرت إلى كلير مبتسمة) هل تشعرين أنك أفضل حالاً اليوم مياكارا؟.

احمر وجه كلير قليلاً: «أوه. . أجل. الدواء الذي أعطانيه الطبيب فعل العجائب. (ثم ضحكت) إنني الآن مستعدة للقتال وأفكر في العودة إلى العمل».

قالت ڤيوليتا بحزم: «وأنا أعتقد أن عليك التمتع بالراحة هنا معي».

قالت كلير بسرعة: «لا شيء أحبُّ إليَّ أكثر من هذا. . لكنني لم أخبر وكالة العمل بعد بما فعله دورلي، وقد تكون هناك مهمّة أخرى لي. . . كما يجب أن أتصل بأبي كذلك».

صبّت ڤيوليتا لنفسها كوب قهوة: «ليس قبل اسبوعين. . . إنه مسافر عزيزتي. لقد صحبها في رحلة إلى سان فرانسيسكو. قال لي هذا حين اتصلت به في الأسبوع الماضي لأسأل عن عنوانك في روما».

ابتلعت كلير هذا باضطراب، ثم ردت: «آه! وهذا سبب آخر يدعوني للعودة إذن. يجب أن أكون موجودة فقد يطرأ أمر ما في العمل».

هزت ڤيوليتا رأسها: «مساعدته. . تريسا. . أليس هذا اسمها؟ تقوم بهذا فليس هناك إذن ما يدعوك للعودة وكل الأمور تسير على أفضل حال».

ردت مدعية السرور، مع أنها كانت بينها وبين نفسها تلعن سان فرانسيسكو وخليجها، وتلالها، وسكانها الذين لا ذنب لهم.

ـ أجل. . . بالتأكيد.

بعد الفطور. . أعلنت ڤيوليتا أنها ذاهبة إلى سيناتشيو قاصدة مزين الشعر.

ـ أترغبين في مرافقتي مياكارا. . . أم تريدين أن أطلب من روجياكمو أن يعدّ لك كرسيّ نوم قرب بركة السباحة؟

ـ سيكون هذا رائعاً.

عندما توجهت بعد ساعة إلى المسبح الواقع تحت الشرفة الوردية، وجدت كرسي النوم في مكانه. كان روجياكمو زوج أنجلينا الذي يعتني بالحدائق، يكافح ليركز مظلة لتقيها حرّ الشمس. . كان رجلاً صغير الجسم

عظم الوجه، رمادي الشعر عيناه سوداوان برّاقتان. . وحيّا كلير بابتسامته البيضاء المعتادة.

ـ آه. . سنيوريتا. . في كل مرة تأتين فيها إلى هنا نراك وقد ازددت شبهاً أكثر فأكثر بأمك أراح الله روحها.

وراح ينظر إلى يديها كمن يبحث عن خاتم.

ـ لكن، أين هو زوجك؟ أين هم الباقون؟.

ضحكت كلير: «يؤسفني أن أخيب أملك جياكو ولكننا لسنا جميعاً محظوظين مثل أنجلينا».

هز جياكو رأسه موبخاً ثم تطلّع إلى السماء: يا للخسارة!

كان الجو شديد الحرارة، والشمس تلمع فوق الماء. لم يكن المسبح واسعاً. وجدته كلير ضيقاً لكنها خلعت الروب المنشفة وتمدّدت على الكرسي الطويل. كانت ترتدي ثوب سباحة أسود بسيط بقطعتين.

فكرت: مهما حاولت، لن تستطيع اقناع نفسها بأنها لن ترى الماركيز بارتالدي مجدداً. إنه هناك طوال الوقت في عقلها. . . وكأنه ظل في أشعة الشمس.

والأكثر إقلاقاً أنه حاضر دائماً بشكل مادي. ولعل أكثر ما يقلقها أنه موجود دوماً على مسافة قصيرة في فيلا منيرفا.

تناولت زجاجة فيها سائل واقٍ من الشمس وبدأت تضعه على ذراعيها وكتفيها. . كانت بشرتها تتقبل الشمس بسهولة ثم لا تفتأ أن تتحوّل إلى لون عسليّ عميق ناعم ودونما ألم، ومع ذلك تفضل أخذ الحيطة والحذر عند التعرض لأشعة الشمس.

ويجب أن تتصرف بالطريقة ذاتها مع غويدو بارتالدي. . . يجب أن تجد وسيلة لحماية نفسها منه وإلا انتهى بها الأمر للاحتراق كما لم تحترق يوماً.

وضعت نظارة الشمس على عينيها وأخذت تتصفّح بعضاً من مجلات ڤيوليتا الفاخرة. . كان هذا وكأنها تتطلع من نافذة إلى عالم آخر. .

www.rewity.com

وابتسمت، فليس في عالم المال عائق. . . وحياتك مصممة لك. . من الثياب التي تلبسها إلى الكأس التي تشرب منها. . إنه عالم يكتسب فيه رجال مثل غويدو بارتالدي التألق والشهرة.

تركت تفكيرها لبرهة يعود إلى واجهة ذلك المحل الذي كان يعرض الحلي في بيروجيا. كان هناك قلادة توباز رائعة تلمع وكأنها جمر في إطار ذهبي. . تصورت أنها تدخل إلى المحل، وتشير إليها. وتقول: سأشتري هذه. . دون أن تسأل عن السعر.

سخرت من نفسها. . . إنها واحدة من العمال في هذا العالم لذا سيكون عليها دوماً التريث قبل شراء أي شيء.

أحست بالتململ مجدداً. . وتركت المجلة تقع على الأرض وتمددت على الكرسي. . فقد آن وقت السباحة. فكرت وهي تتخلص من ساعتها أن تمريناً جسدياً قاسياً، هو أكثر قدرة على شفائها.

كانت المياه رائعة. . راحت تقطع المسبح بضرباتها القوية مرة بعد المرة وعندما خرجت أخيراً من المسبح شعرت أن أنفاسها مقطوعة.

جففت نفسها. . ثم عدّلت المظلة بحيث تظلل الكرسيّ كله، بعد ذلك استلقت مجدداً واضطجعت على بطنها.

كانت ليلتها السيئة تلك قد بدأت تفعل فعلها. شعرت بالنعاس فوضعت رأسها على ذراعيها المطويتين. تركت جسمها يغوص في فراش الكرسي الوثير وكانت حركة الهواء قد توقفت.

وسرعان ما غفت. شيء ما أيقظها أخيراً. . لكنها ظلت مستلقية للحظات تصغي إلى الصمت. . وتتساءل عمّا أزعجها. أدارت رأسها قليلاً، ورأت أن طاولة حديدية صغيرة قد وضعت إلى جانبها وعليها وعاء فيه عصير الفاكهة وخوخ.

إنها أنجلينا؛ يا لها من طريقة رائعة للاستيقاظ!.

دفعت شعرها المشعث إلى الخلف غير أنها ما زالت تشعر بالنعاس.

تثاءبت ثم مدّت يدها إلى الابريق. لكن غرائزها أنبأتها بأن الصمت تغير بطريقة ما وأن فيه شيئاً آخر. حدّقت ببطء إلى ما حولها وسرعان ما علقت أنفاسها في حنجرتها.

كان غويدو بارتالدي جالساً على مسافة ياردين منها مسترخياً على المقعد الوثير. . بساقيه السمراوين الطويلتين.

كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً عاجياً يكشف عن ساعديه الأسمرين. بدا وجهه خالياً من التعبير وعيناه المحتجبتان وراء نظارات سوداء تراقبانها.

تسمّرت للحظة دونما حراك، وكأنها استحالت إلى حجر. لكنها ما لبثت أن استفاقت من جمودها وصاحت: «كيف دخلت إلى هنا بحق الله؟».

وأخذت ألوان الحرج ترتفع إلى وجهها. ارتفع حاجباه.

ـ قرعت جرس المدخل، ودخلت كما يدخل أي شخص آخر. كانت مديرة المنزل تهم بجلب الشراب البارد إليك فقدّمت خدماتي بدلاً منها. فهل في هذا مشكلة؟

أجابت كلير بخشونة: «آه! . . . أبداً. . هل تعبير التلصّص على النائم يعني لك شيئاً؟».

تمتم: «الواضح أنه لا يعني لي بمقدار ما يعني لك».

رفعت كلير ذقنها.

ـ أخبرني شيئاً آخر «سنيور». . إلى متى تنوي المضي في هذه المضايقة؟.

قال بصوت لطيف مخادع: «يؤسفني أن تنظري إلى زياراتي بهذا المنظار. . . أنا متلهف فقط للاطمئنان عليك».

كان هناك عدد هائل من الردود الفظة على كلامه هذا. . لكن التلفظ بأي منها لن ينفعها على المدى الطويل. . قالت ببرود: «أنا بخير كما ترى سنيور. . إذا كان هذا كل ما أردت أن تعرفه فسأكون مسرورة باستعادة خلوتي».

ـ لا . . هذا ليس السبب الوحيد لزيارتي . . في الواقع، جئت أعرض عليك وظيفة .

قالت غير مصدقة: «وظيفة؟ تريد أن أعمل عندك؟».

ـ ليس مباشرة. سبق أن أخبرتك باولا أن مرافقتها امرأة كبيرة في السن بعض الشيء».

قطبت كلير حاجبيها: «أجل.».

وحدقت إليه. قال باقتضاب: «السنيورا لم تعد جزءاً من سكان منزلي . . كان من الغباء الظن أن امرأة في مثل سنها ومظهرها قد تصل إلى أي نوع من الوئام مع فتاة لها طباع باولا . . . ولم تكن حتى سجّانة ناجحة».

ـ وهذا ما تبحث عنه؟ سجّانة أمهر من تلك؟

لوح بيده طارداً هذه الفكرة: «لا . . لا . . هذا أمر خطير مهين . . لا بل أريد مرافقة لباولا تستطيع أن تحبها وتثق بها . . شخصاً ما تستطيع أن تفضي إليه بأسرارها. لقد تحدثت إليك . . وتبدين الخيار الواضح».

هزت كلير رأسها: «لا أعتقد . . فأنا معلمة لغة ولست وصيفة».

ـ هذا أفضل . . فأنا أدير عملاً عالمياً . . وأسافر كثيراً . . وستحتاج زوجتي إلى إجادة لغات أخرى غير لغتنا.

حاولت كلير جمع أفكارها.

ـ تريد مني أن أعلم باولا الانكليزية!

لم تكن تصدق أنها تتبادل معه مثل هذا الحديث! وكيف يجرؤ على أن يطلب منها ذلك!

هز رأسه بطريقة عفوية: «وتعليمها بعض الفرنسية . . أعتقد أنك قادرة على هذه!».

قالت من بين أسنانها: «قادرة . . . أجل . . لكن راغبة . . لا».

ـ هكذا إذن . . ! هل تكرهين مرافقة باولا بسبب تجربتك الأخيرة؟

ـ باولا ليست هي الأساسي.

قال بهدوء: «اذن . . . هل لي أن أطلب أن تصبح همك؟ إنها . . بحاجة إليك».

انفرجت شفتاها بذهول وقالت: «أوه . . . هذا أمر سخيف!».

ـ ما هو المضحك؟.

ـ الموقف كله.

ـ هل أقدم لك أية مساعدة.

ـ لا شكراً لك.

ـ لا تتكلفي المجاملة يا جيلتي فأنت تودين القول: «اذهب إلى الجحيم».

كافحت بقوة لئلا تبتسم: «هذا أقل ما يمكن، سنيور».

ـ ومع ذلك، أريدك أن تفكري في العرض الذي عرضته عليك.

نظرت كلير إليه صامتة، والتقطت روبها، وربطته بشدة حول خصرها، ثم دسّت يديها فيه.

ـ أعتقد . . أنك تحاولين اثبات وجهة نظر.

ـ أن تلاحظ هذا لدليل ذكاء.

ـ ليس الأمر صعباً . . هل قال لك أحد تشيارا، أن المكر ليس ميزة عملية؟ أستنتج أنك تتصورين نفسك في خطر تحت سقف بيتي.

لم تخف ريبتها في صوتها أو في نظراتها.

ـ وأنت توحي لي بأنني لن أكون في خطر؟ قد لا ينقصك المكر أنت أيضاً سنيور . . . تصرفت أحياناً تصرفاتٍ يمكن وصفها بالتحرش الجنسي.

ـ يا لذكائك! (لاحت ابتسامة على أطراف شفتيه) ولكن لن يكون هناك ما تخشينه في هذا الخصوص . . فما أن تدخلي منزلي، حتى تصبحي في أمان. ليس من عادتي التحرش بالعاملين عندي.

ـ هذا شيء مطمئن . . إنما ما زلت غير راغبة.

ـ لم تسألي كم سأدفع لك لقاء خدماتك.

قالت بحدة: «لا أريد مالك».

تمتم: «أوضحت هذا جيداً في السابق».

ـ أعني أن لا مجال لشرائي.

ـ وأنا لا أبحث عن عبدة... أم تراك تشيرين إلى أنني أشتري كل شيء بمالي.

عضت شفتها: «لم أشر إلى هذا، ولكن المسألة هي أنه لا مجال لوجودنا معاً في بيت واحد».

أضافت لنفسها «وأنا.. لا أستطيع المخاطرة».

قال باختصار: «لا داعي لنتعايش معاً.. فأنا أستخدمك لتبقي مع باولا، لا معي. وأعمالي تلزمني بأن أبقى بعيداً أكثر الأوقات.. ونادراً ما سنلتقي».

جلست كلير مسترخية على الكرسي.. وسألت: «وما هو شعور باولا في هذا؟ من الصعب أن تكون هذه هي الطريقة المثالية للتودّد إلى زوجة المستقبل».

قال: «آه... ألا تعتقدين أن غيابي قد يدفعها للتعلق بي؟».

ردت بصراحة: «أقول إن هذا سيقنعها بأنك لا تهتم بها أبداً».

ـ اذن ستكون مخطئة. فأنا أهتم بها اهتماماً صادقاً لكنني أعي أنها لا تبادلني المشاعر.. أو على الأقل حتى الآن؛ وأتمنى أن تتمكني من تغيير هذا.....

ـ أنا؟ وكيف أستطيع؟

ـ بأن تساعديها على التفكير بشكل منطقي وأن تدفعيها لتدرك أنني أستطيع اسعادها.

سحبت كلير نفساً عميقاً.. وسألت بغضب: «دعني أفهم هذا.. تريد مني أن أحوّل فتاة معادية عنيدة إلى عروس خاضعة لك؟».

ابتسم: «بالضبط».

وران صمت قصير مشحون. ثم قالت باختصار: «لا يمكن أن يحصل هذا».

ـ أعتقد أنه ممكن.. لو حاولت... اشحذي عزيمتك لحل المشكلة تشيارا. هيا... ومن يعلم أية معجزة ستحدث.

ـ قد تكون مشكلة لا أتمنى أن أتعامل معها. ولماذا تريد هذا الزواج سنيور؟

ـ لدي منزل... لكنه ليس بيتاً! لديّ اسم كبير وليس لدي وريث! لديّ علاقات إنما ليس هناك من تشغل قلبي وتنسيني الأخريات. هل هذه أسباب كافية؟

تطلّعت كلير إليه.

ـ إن ذلك محض مصلحة وستتصرف بدم بارد.

ـ لكنك مخطئة... فعندما تقضي زوجتي لياليها بين ذراعي ستكتشف أن دمي ليس بارداً أبداً.

أطرقت تنظر إلى أصابع قدميها... كان اللون الأحمر يتصاعد إلى وجهها وأدركت أن من الضروري الإشاحة بوجهها عنه. قالت بصوت خفيض: «ربما يجب أن تبدأ بإقناعها منذ الآن».

قال ببرود: «لن يكون هذا ملائماً لأننا لسنا خطيبين حتى الآن».

قالت ساخرة: «لم أكن أعتقد أنك تقليدي إلى هذا الحد ماركيز».

ـ لكنك لا تعرفين سوى القليل عني تشيارا!!

ـ هذا خياري أنا. (ووقفت مرة أخرى) لن أفعل ما تطلبه مني..

لكني لا أفهم لماذا تريد أن تتزوج بفتاة هربت منك.

هز كتفيه وهو يقف عن كرسيه.

ـ ربما تكون هذه طبيعة الحب.. الفتاة تهرب والرجل يلحق بها.. هل هذا هو تحفظك الوحيد؟

ـ لا.

ـ آه. (وصمت لحظة)، ستصاب باولا بخيبة أمل. كانت تأمل أن تحلّي مكان السنيورا.

ـ أرجوك، قل لها إنني آسفة.

ـ أرجو أن تعتذري أنت منها بنفسك.. ولا تدعي كراهيتك لي تمنعك من أن تكوني صديقتها طالما أنت في «أمبريا» فستحب كثيراً أن تزوريها.

ابتلعت كلير ريقها: «لست واثقة من صحة هذه الفكرة».

فتح غويدو بارتالدي يديه متسائلاً: «ولِمَ لا؟... لقد تقبلت قرارك.. فما الضرر في ما طلبت؟».

أوه.. يا إلهي.. ليس لديك أية فكرة.. وأشكر الله على هذا..

قالت بصوت مرتفع: «قد لا أبقى هنا مدة طويلة.. وعلى أي حال... لدي..».

وصمتت فجأة، مدركة خطورة ما كانت ستقوله. لكنه أضاف عنها برقة.

ـ معيشة تكسبينها.. ومع ذلك ترفضين العمل حين يعرض عليك.. ما أغرب تصرفك!

ـ أنا امرأة ناضجة سنيور.. أنا أقوم بخياراتي.

سأل مفكراً: «امرأة؟ أتساءل عما إذا كان هذا صحيحاً؟».

حدقت إليه: «كيف... كيف تجرؤ؟.. لا شأن لك بظروفي الخاصة...».

ـ أنا لا أدعي أنك ما زلت.. عذراء.. فهذا أمر شخصي.. ولكن عندما أنظر إليك تشيارا، أرى طفلة خائفة تضرب العالم.. ولا تؤذي سوى نفسها.

قالت ببرود: «شكرا لك على هذا التحليل النفسي.. ذكرني بأن أقوم بتحليل نفسيتك يوماً.. لكن قل لباولا، إذا أرادت زيارتي سأكون مسرورة برؤيتها.. وقد نقيم حفلة. (اتجهت تلتقط منشفتها والمجلات) هلاّ عذرتني

الآن.. فأنا واثقة من أن عرّابتي ستسر برؤيتك قبل أن تذهب».

أجاب مازحاً: «أظنها الآن سعيدةً بالتحدث إلى عمي.. لقد كان يأمل أن يلتقي بك.. لكنني أراك في مزاج غير ملائم!».

وتقدم منها: «لقد أغضبتك وأخفتك قليلاً.. كما أعتقد، ولكنني لم أكن أقصد ذلك».

أمسك بيدها دون مقاومة منها ورفعها إلى شفتيه، برقة ولطف: «ريفيد برتشي تشيارا.».

وكان صوته هامساً، حميماً. أحست بحرارة الشمس تحيط بها كخيوط عنكبوت ذهبية.. تنغلق عليها معه وهي تنظر إليه بصمت، عالقة في إثارة اللحظة. ثم تغيرت لهجته لتشوبها الخشونة، لهجة رجل الأعمال!

ـ وإذا غيرت رأيك بشأن الوظيفة التي عرضتها عليك، فما عليك سوى اعلامي.

كانت خيبة الأمل أشبه بصدمة حادة كادت تؤدي بها إلى الصراخ ألماً.

بدلاً من ذلك، انتزعت يدها منه وابتسمت ابتسامة تلمع كحد الشفرة.

ـ الجحيم ولا هذا.. ماركيز.. وداعاً!

وسارت مبتعدة، رافعة الرأس، ثم صعدت السلالم العريضة قاصدة جنة الورود ومنها إلى داخل المنزل.

* * *

٥ ـ الخطر يقترب

دخلت كلير إلى المنزل من باب جانبي، متجنبة المرور من الصالون.

توجّهت إلى غرفتها مباشرةً، حيث خلعت الروب والبيكيني، واستحمت تستمتع ببطء تحت الدوش الدافىء.

جففت نفسها على مهل، ولكنها اكتشفت أنها كانت تراقب صورتها بقلق في مرآة الحمام الطويلة، لكأنَّ قبالتها امرأة غريبة لا تعرفها، تردّ عليها نظراتها.

ارتدت ملابسها الداخلية ثم بنطلوناً حريرياً أخضر قاتماً وبلوزة مماثلة ذات ياقة واسعة مستديرة.

كانت تمشط شعرها المبتل حين طرق سمعها أصوات تحت نافذتها فأطلت خلسة بفضول، لترى غويدو بارتالدي وبرفقته رجل كهل، طويل، رمادي الشعر، ووسيم، يسيران نحو سيارة فيها السائق تنتظرهما في الطريق الداخلية.

تنهدت بارتياح، فقد كانت تخشى أن تقنعهما ڤيوليتا بالبقاء للغداء حيث لن ينقذها ادّعاء المرض مرة أخرى. دست قدميها في خف دون كعبين، ونزلت إلى الطابق الأرضي.

وجدت عرّابتها واقفة قرب الباب الزجاجي المفضي إلى التراس، تنظر إلى الحديقة، مستغرقةً في التفكير بحيث أجفلت لدى سماعها صوت كلير

يكلمها.

كان في صوتها رنة توبيخ!.

ـ آه.. يا حلوتي الصغيرة! كنت أتساءل أين أنت.. كنت أرغب في أن تتعرفي إلى الكونت ديل مانتيلي.

طبعت كلير قبلة خاطفة على خدها: «أنا آسفة.. لقد أحسست بالحرارة في الحديقة، وصعدت إلى غرفتي لأتبرد.. هل ذهب زائرك؟».

ـ أجل.. لكنني لن أتباهى بزيارتهما لأنهما في الواقع لم يأتيا من أجلي. لقد تبين أن الماركيز جاء ومعه اقتراح لك.

ردت كلير بهدوء: «أجل يريدني وصيفة لزوجته العتيدة».

تنهدت ڤيوليتا: «هذا ما قاله لي عمه الكونت. إن الفتاة باولا مشكلة كبيرة لهم جميعاً. والواضح أنها بحاجة إلى شخص متعقّل يرافقها».

نظرت إلى كلير بطرف عينها: «قلت للكونت إنك الخيار المثالي».

ـ وهل يعلم أن ابن أخيه حاول منذ ثمان وأربعين ساعة سجني؟.

ـ أوه! لكن ذلك كان سوء تفاهم.. وحظاً سيئاً!.

ـ حظاً سيئاً لي بكل تأكيد. كانَ يمكن أن أبعد عن البلاد، فلا أتمكّن من العمل هنا مرةً أخرى.

أجابت ڤيوليتا تلاطفها: «لكن كل ذلك تغيرّ الآن.. وهذا يعني أنك قادرة على البقاء في امبريا، كما تمنيت دائماً.. وهذا سيسمح لي بأن أراك كثيراً».

عضت كلير شفتيها.

ـ أنا آسفة ڤيوليتا. لقد رفضت عرض الماركيز. لا أستطيع العمل معه. يجب أن تفهمي هذا!.

ردت ڤيوليتا بشيء من الحدة: «لا أرى سبباً لهذا.. ستعيشين برفاه، سيدفع لك راتباً سخياً، لمجرّد منع فتاة متعبة من التسبب بمزيد من المتاعب.. فكيف ترفضين؟».

- المسألة ببساطة هي أنني لا أرغب في أن أخصّص لها جزءاً من حياتي.

- لكنها لن تكون لمدة طويلة، لقد أكّد لي الكونت أنه يأمل أن يجري زواج باولا في أقرب فرصة، والزواج بالتأكيد سيجعلها تستقر.

- هذا ما ينويه الماركيز إذن.. لكن في هذه الأثناء لن يضيره أن يكون هو الرفيق لها. ولعله بذلك يستطيع التخلي عن عشيقته في «سيِنّا» (وابتسمت لڤيوليتا ابتسامةً متوترة) ماذا هناك للغداء يا ترى؟ أنا جائعة.

في اليومين التاليين كرّست كلير نفسها للاستمتاع بعطلتها.. في هذه الأثناء، لم تتلق أي اتصال من ڤيلا مينيرفا، لذا تراءى لها أن الماركيز قبل فكرة ابتعادها عن حياته.

وهذا بالضبط ما أريده. قالت كلير لنفسها بشدة.. وكل ما علي أن أفعله الآن هو اقصاء الحدث المؤسف كله، بعيداً عن تفكيري.

كان الطقس رائعاً لذا كانت تقضي جزءاً كبيراً من يومها في السباحة أو التعرض للشمس.

ذهبتا مرة بالسيارة إلى روربينو، لتشاهد كلير الكنوز الغنية في ذلك القصر العظيم العائد إلى عصر النهضة، والمشرف على المدينة. ومرة أخرى زارتا (أسيسي)، حيث شاهدت ڤيوليتا بأسى ذلك الضرر الذي ألحقه الزلزال الأرضي بكنيستين من كنائس سانت فرانسيس وسانت كلير المتقابلتين وقد أعيد ترميمهما للتوّ.

بينما هما عائدتان إلى (سيناتشيو)، إذا بكلير تجد نفسها تتطلع إلى تلال «الإبنين» الوعرة التي تشكل خلفيةً دراماتيكية للطريق الضيقة التي تسلكانها.. ويقال إن الذئاب ما تزال في تلك المنحدرات الكثيرة الأدغال..

في الوقت عينه، كانت تلك التلال تبدو مهيبة.. أبديّة راسخة وكأن لا شيء قادر على زحزحتها من مكانها.. مع أنها في الواقع أرض هشة وعرضة لرحمة الطبيعة، وهذا ما تثبته الهزّات الأرضية.

قالت ڤيوليتا وهما تقتربان من البلدة الصغيرة: «أحتاج أن أتوقف

في «سيناتشيو» فمحاميّ يريد مني أن أوقع له بعض الأوراق المتعلقة بإيجار الحقل. فلماذا لا تمضين بعض الوقت في التفرّج على المحلات، وسنلتقي في «الكافيه»، في الساحة بعد نصف ساعة.. كارا؟».

وافقت كلير على الخطة، وانطلقت تتجول بسعادة في الشوارع الضيقة المرصوفة بالحجارة المربّعة.. وتتفرج على واجهات المحلات، حيث توقفت في محل كتب صغير واشترت دليلاً سياحياً وكتاباً عن حياة سانت كلير أسيسي. وأمام محل بيع الأطعمة، وقفت تنظر بشوق إلى مأكولاته الشهية.

مضت نصف الساعة ولا أثر لڤيوليتا.. جلست كلير على طاولة تحت مظلة مخططة بالأزرق وطلبت «كاباتشينو».

بدأت تُقلّب صفحات الكتاب. في هذا الوقت ارتفع ظل فوق الطاولة فظنت أنها ڤيوليتا.. رفعت رأسها مبتسمة، فوجدت باولا تنظر إليها بلهفة.

- سنيوريتا كلير؟. هل أنت وحدك؟ هل لي أن أنضم إليك؟.

تهلل وجه كلير بابتسامة مترددة: «طبعاً.. أنا أنتظر عرّابتي».

- آه.. سنيورا اندريتي.. لقد سررت بمقابلتها.. إنها رائعة وأنيقة!

- أجل.. هي كذلك.

جلست الفتاة إلى جانب كلير ووضعت يدها على ذراعها.

- لقد أردت رؤيتك كثيراً، أردت أن أعبرّ عن مدى أسفي لكل ما فعله غويدو معك. (وهزت رأسها) إنه كريه.. ألم أقل لك؟.

- أجل.. إنما ليس عليك أن تقولي ذلك عن الرجل الذي ستتزوجينه.

ردت باولا بحرارة: «أعدك بذلك. (نظرت حولها بقلق) لكنني أحتاج إلى مساعدتك».

تنهدت كلير: «أنا آسفة باولا.. لن يكون هذا عملاً حكيماً، وأنت لا تحتاجين فعلاً إلى المساعدة.. ما عليك سوى قول لا».

أخفضت باولا صوتها حتى قارب الهمس: «أنت لا تفهمين.. عمه إلى

جانبه، وهما يريدان إجباري على ذلك!».

وهذا ما يؤكد قول ڤيولينا.. فكرت كلير متعاطفة واقترحت عليها:

«لماذا لا تتكلمين إلى كاهن الرعية؟ فمن غير المسموح له أن يزوج الناس رغماً عنهم».

ـ إنه ينفذ تعليمات غويدو.. وهذه حال الجميع.

تأوّهت كلير بينها وبين نفسها.. أنا لا أحتاج إلى هذا..

قالت: فمن غير المحتمل إذن أن يستمع الماركيز إلى ما أقول.

قالت باولا بلهجة متآمرة: «أوه! لا أعني هذا.. لكن إذا جئت للعيش معنا في ڤيلا مينيرڤا، فقد تساعدينني على الهرب».

ردّت كلير بجفاء: «حاولت هذا مرة وفشلت. فإن كان غويدو يملك كل هذه السلطة، فسيجدك بسرعة، كما وجدك في المرة السابقة.. ثم إلى أين ستذهبين.. باولا؟ أفضل ما تستطيعين القيام به هو إقناع غويدو بتغيير رأيه في هذا الزواج.. أقنعيه بأن الأمر سيكون كارثة».

برق الانتصار في عين الفتاة: «أو.. هناك طريقة أخرى.. فبإمكاني أن أتزوج شخصاً آخر».

أحست كلير أن قلبها يغور بين جنبيها وحاولت أن تسأل بشكل عفوي: «وهل لديك شخص محدّد تفكّرين فيه؟».

بدت باولا مصدومة: «تعرفين هذا.. إنه ڤابيو.. طبعاً».

قالت كلير بصوت بارد: «لم أعلم أنه عاد إلى الصورة!».

أخفضت باولا صوتها: «اتصل بي عبر كارلوتا. لقد اتهمه غويدو بأنه لا يريد سوى ثروتي.. وهدّده تهديدات رهيبة فخاف لفترة لكنه الآن يعرف أنه لا يستطيع أن يعيش بدوني وسيخاطر بأي شيء».

فكرت كلير: الفتاة تراهن على هذا! وراودتها نفسها أن تمسك باولا بكتفيها وتهزّها هزاً عنيفاً.

لكن هذا لن يحل شيئاً.. بل الواقع أنه سيقوي عزم باولا على تدمير

حياتها.. ولم تشك كلير في أن هذا ما ستؤول إليه الأمور إن لم تتوقف هذه الفتاة السخيفة عند حدّها.

لو أخبرت كلير غويدو بارتالدي بالأمر لحاول على الأرجح وضع حد للمسألة بحجز باولا في دير ما.. أو أي شيء مماثل، وهذا ببساطة سيجعلها تبدو ضحية.. ويجعلها أعند من ذي قبل.

لا.. يجب أن تساعد باولا لترى ڤابيو على حقيقته.. يجب أن يخيب أملها خيبة كبيرة بحيث لا يعود لديه أية فرصة معها مرة أخرى.

وإن تجنبت باولا مقلاة ڤابيو فعليها ألا تقع في نار الماركيز. سيكون زواجهما زواجاً بائساً فاشلاً. ولكن لماذا تهتم؟ فلا سبب يدعوها للاهتمام بالفوضى التي يجلبها الماركيز على نفسه!

لا.. باولا في موضع اهتمامها هنا.. قد تكون صغيرة متهورة، لكن ذلك لا يعني أنها تستحق أياً من المصيرين المفروضين عليها. عليها أن تكبر وتنضج وأن تتعلم كيف تقف على قدميها بنفسها.. وأن تكون منقذة نفسها بدل الاعتماد على الآخرين.

لكنني أتساءل عما إذا كانت قادرة على هذا؟ وسرقت كلير نظرة جانبية إلى الوجه الجميل ذي الشفتين المكتنزتين الغاضبتين.. حتى الآن أمضت كل حياتها، يملي عليها الرجال إرادتهم.. وأتساءل عما إذا كنت قادرة على إفهامها أن الحياة أعقد من هذا بكثير!

قالت باولا بصوت كئيب: «كلير.. أنت لا تتكلمين.. فيمَ تفكرين؟».

ابتسمت كلير بهدوء: «أحاول أن أقرر ما هي أفضل خطة للعمل».

ـ اذن، ستساعدينني؟ (وأشرق وجه الصغيرة) لكن كيف؟ قال لي غويدو إنه طلب منك أن تحلي محل السنيورا، لكنك رفضت. ومن الصعب علينا أن نبقى على اتصال وأنت في سيناتشيو..

قالت كلير باستسلام: «اذن، يجب أن أذهب أنا إلى ڤيلا مينيرڤا».

ـ أتعنين هذا؟ هل ستقولين لغويدو إنك غيرت رأيك؟ آه.. هذا رائع!.

ـ أجل هذا ما سأقوله له.

وكأنها استحضرته بكلامها، فقد رأته في الساحة يتوجه نحوهما.. وڤيوليتا تتحدث إليه بحيوية. قالت باولا:

ـ غويدو.. اسمعني جيداً.. قبلت كلير أن تكون مرافقتي أخيراً!.. أليست أخباراً رائعة؟.

توقف غويدو صامتاً.. وارتفع حاجباه وأخذت نظراته تتنقل من وجه باولا المنتصر إلى جسم كارلا المتوتّر. ثم قال بوقار: «لقد دهشت من اصرارك على الرفض في آخر لقاء! هل لي أن أعرف ما الذي غيّر رأيك؟».

ردّت كلير: «بعد تفكير ملي بالأمر أدركت أن هناك مصلحة مشتركة في هذا الموقف.. سبق أن خططت للبقاء بضعة أشهر في ايطاليا وبهذا أعمل وأرى في أوقات فراغي السنيورا اندرياتي. أعتقد أنني سأحظى بوقت فراغ! فلا أظنك تتوقع أن أراقب باولا على مدار الساعة».

نظر إليها نظرة طويلة هادئة: «سنيوريتا.. هذه تفاصيل سنتفق عليها بما يرضي الطرفين».

احتجت باولا: «لا تقل سنيوريتا.. فهذا ممل.. أسلوب قديم! يجب أن تناديها كلير، ويجب أن تناديك غويدو».

ردت كلير على نظرته الباردة باهتمام.

ـ بما أنني سأصبح موظفة عند الماركيز يجب أن تبقى الألقاب موجودة.

ـ لك ما ترغبين آنسة ماريوت. أما الاتصال بعرّابتك فلن يكون مشكلة، والواقع أنني أتمنى لو تقبل أن تكون ضيفتي في ڤيلا مينيرڤا لبضعة أسابيع.. بينما أنت.. تجدين.. موطئاً لقدميك، إذا جاز التعبير! (وابتسم ابتسامة فاتنة إلى ڤيوليتا) حسن جداً سنيورا.. هل ستشرّفيننا بمرافقة السنيوريتا، حين تنضم إلى منزلي؟.

فكرت كلير: «ما من أحد قط، من قبل، استطاع زحزحة ڤيوليتا عن ڤيلا روزا في مثل هذا الوقت من السنة. وهذا أفضل لي، لأنني سأحتاج إلى مكان أخلو به إلى نفسي..»

قالت ڤيوليتا برقة: «ما ألطفك!.. سأكون مسرورة ماركيز!».

وذابت نظراتها وهي تراه ينحني ليقبل يدها. تابع غويدو: «إنني لن أتطفل على أية خطط وضعتها للتسلية.. لكن من المفيد لي أن تباشر الآنسة ماريوت واجباتها في أسرع وقت ممكن».

أكدت له ڤيوليتا: «لن يكون هذا مشكلة.. تستطيع كلير فعلاً الانضمام إليكم غداً.. وسألحق بها ما أن أقوم بالترتيبات الضرورية في منزلي».

وجدت كلير نفسها جالسةً، فاغرة الفم.. ساخطة. وتمتمت من بين أسنانها: «أديرا أمر حياتي.. لماذا لا تفعلان هذا؟».

أحست بأن مداً جرفها بحيث خرجت الأمور من يدها.. ولم يعجبها هذا الشعور. لقد سمحت لقلقها على باولا أن يقودها إلى قرار ستندم عليه بكل تأكيد.. لكنه ليس قراراً لا يمكن الرجوع عنه. فهي ليست سجينة غويدو بارتالدي، وتستطيع أن تترك العمل متى شاءت!.

أدركت فجأة أنه يراقبها، وابتسامة خفيفة تتراقص على شفتيه.. كأنما راودته فكرة سارة.

رفعت ذقنها في تحدٍّ صامت، محاولة فهم نظرته.. لم يكن يضع نظارات شمسية اليوم.. لذا، لم يكن هناك حاجز صناعي بينهما. غير أن هذا لم يشكل فارقاً حقيقياً فما زال لغزاً يحيرها..

لكن هذا قد يكون أمراً مفيداً.. فالبعد عن غويدو بارتالدي هو الأمان بعينه. ألم يسبق أن خبرت ماذا يفعل الاقتراب منه؟

لن تتحمل أبداً المزيد من لحظات الضعف هذه. مد غويدو بارتالدي يده: «تعالي باولا.. يجب أن تعودي إلى المنزل فنتهيأ للقاء ضيفتنا».

www.rewity.com

بدا الغضب على الفتاة، لكنها وقفت شبه راضية ودنت منه تتأبط ذراعه بألفة.

قد لا أضطر إلى فعل شيء.. وأحست بوخزة غريبة وهي تفكر بهذا.. قد لا يحتاج إلا إلى التودد إليها بلطف ورومانسية.. فلو لجأ إلى ذلك لنسيت كل شيء من ذلك الهراء القديم ولوقعت بين يديه فاكهة ناضجة. وهذا ما سيحُل الكثير من المشاكل.. وتنهدت قليلاً بعد ما تبودلت كلمات الوداع المؤدبة.. وتوجه الماركيز مع الزوجة العتيدة إلى الساحة. لكن لماذا لا تشعر بالسعادة لهذا المنظر؟.

شرعت ڤيوليتا بالتخطيط.

ـ ستحتاجين إلى ثياب.

ـ سبق أن تباحثنا في هذا وسبق أن قلت لك إن لدي مجموعة لا بأس بها من الثياب المناسبة.

قالت ڤيوليتا بحزم: «ليس من أجل ڤيلا مينيرڤا».

قالت كلير بثبات: «من أجل مركزي هناك؟ قد تكونين أنت ضيفةً، لكنني لست سوى مستخدمة».

ـ لماذا تتكلمين عن نفسك هكذا؟ ستكونين مرافقةً لپاولا.. لذا المتوقع منك أن تنضمي إليها في الحياة الاجتماعية.. وبناء على هذا يجب أن تكون ملابسك مناسبة.

ـ أنا لا أرتدي الأسمال الآن. ولقد سبق أن دفعت ثمن فستان سهرة لي، ولا أحتاج إلى أي شيء آخر.

أطلقت ڤيوليتا تنهيدة سخط.

ـ يا إلهي! كيف لك أن تكوني بهذا العناد؟ ألا ترين أية فرصة أمامك؟

قالت بهدوء: «إنها مجرد وظيفة أخرى آمل منها في النهاية الحصول على كتاب توصية مشرّف».

أشارت ڤيوليتا بيدها بشكل درامي.

ـ لكنك في مسار هذه الوظيفة ستقابلين الكثير من الناس.. وقد يغير هذا مجرى حياتك.

نظرت إليها كلير بثبات: «وهل تقصدين.. الرجال؟».

قالت ڤيوليتا بلهجة المدافع: «هل هذا مستحيل؟ أنت فتاة جميلة ولا يبدو أنك تقدّرين هذا».

حاولت كلير أن تتكلم بخفة: «ربما لأنني أعرف أن هذا لا يعني شيئاً.. كان جايمس يقول لي إنني أجمل من رأى في حياته لكنني لم أستطع منافسة (جيني باريش) التي أغرته بملايين أبيها. ووجدت فجأة أنني جميلة و.. وحيدة!».

بانت الشفقة في عيني ڤيوليتا.

ـ هذا ما حدث إذن! لم يسبق أن تحدثت عن هذا!

ـ ولا أعرف لماذا أتحدّث عنه الآن.. إلا إذا كان السبب أنني أشاهد رجلاً آخر يبحث عن مصالحه عن طريق الزواج. وهذا ما أثار في نفسي ذكريات تعيسة.

ـ كارا.. ليس كل الرجال مثل جايمس. يوماً ما ستلتقين شخصاً يقدر قيمتك بشخصك.. ولا يهتم بما لديك من رصيد في البنك.

تنهدت كلير: «أرجو هذا.. لكنني أضمن لك أنني لن ألتقيه في ڤيلا مينيرڤا.. وربما يجب أن نعود.. أحتاج إلى توضيب حقائبي».

قالت ڤيوليتا بغضب: «اوه.. أنت فتاة صعبة المراس!».

ـ وأنت محتالة.. ما الذي جعلك تقبلين دعوة غويدو بارتالدي بينما لا تبرحين عادة مكانك في الصيف.

هزت ڤيوليتا كتفيها: «إنه ليس رجلاً ترفضين دعوته بسهولة.. ولا بد أنك اكتشفت هذا بنفسك.. ودعوته تعني أننا لن نفترق.. وهذا لطف منه».

ردت كلير ساخرة: «بالطبع ستلتقين أشخاصاً مرموقين هناك. ومن

www.rewity.com

يعلم؟ ربما أنت من ستتغير حياتها».

قالت ڤيوليتا ببرودٍ، لا تريده: «أنت الآن سخيفة.. تعرفين جيداً أنني لن أفكر أبداً في علاقة ثانية».

ـ هذا ما كنت تقولينه دائماً.. إنما لا يمكنك انكار هذا الاحتمال.

بدت ڤيوليتا غاضبة فعلاً: «بل يمكنني، وسأفعل.. وأجد أنني لا أهتم بمثل هذا الحديث السخيف. (والتقطت حقيبة يدها) إذا كنت جاهزة، فلنذهب.. ولا تنسي.. أنت من غيّرت فكرها أولاً».

تبعتها كلير إلى السيارة بخنوع مرتبكة من معاملتها بهذه الفظاظة.

لا بد أن السبب هو ڤيلا مينيرفا.. للمكان تأثير سلبي على الجميع. وغداً سأكون هناك.. ترى ماذا سيكون تأثيره عليَّ؟

وأحست بقشعريرة تحذير فجائية سرت في جسدها.

* * *

٦ ـ حواء داخل الشبكة

استيقظت كلير بجفلة. وبقيت مستلقية لحظة تتأمل في ستائر النافذة المسدلة متسائلةً ما الذي أزعجها.

في المرة الأخيرة التي استيقظت فيها بجفلة كان غويدو بارتالدي بالطبع هو السبب. وهي الآن خائفة أن تدير رأسها لتنظر حولها في الغرفة، خشية أن ترى جسمه الطويل في زاوية ما يراقبها.

وبخت نفسها: «أنت الآن مصابة بعقدة الاضطهاد. فلا صوت غير تغريد الطيور، ولا شيء إلا خيوط الشمس على الأرض».

تنهدت كلير.. ثم أخذت ساعتها عن الطاولة الصغيرة تلقي عليها نظرة.. ما زال الوقت مبكراً جداً.. لا يمكن أن يكون أحد قد تحرك.. ولا سبب يدعوها لتتحرك أيضاً. ولكن لماذا هذا الشعور الغامض بالقلق؟

كما أن الوقت لا يسمح بالعودة إلى النوم.. ورفعت ركبتيها لتريح ذقنها عليها.. رغم أنها لا تزال متعبة، بعد ليلة مشحونة بالأحلام المزعجة.

سألت نفسها بغضب: «ماذا دهاني؟ طالما كنت أنام كالقتيل.. ولم أكن لأتذكر حلماً بعد نهوضي؟ لكن، ها هي.. لا تزال تضجّ في رأسها الأحلام.. ترفض الانصراف! ولزيادة توترها، جاءها جايمس في حلمها، بابتسامته التي تعشقها، وبصوته الناعم المتزلف محاولاً إقناعها بأن زواجه من غيرها يجب ألا يؤثر على علاقتهما».

www.rewity.com

جلست تراقبه غير مصدقة وهو يرسم لها خطة مستقبلها. . ما زال لهذه الذكرى من القوة ما يجعلها ترتجف.

في الواقع، حدث بينهما شجار عنيف غادر بعده المنزل وهو يقول لها بقسوة إنها من الطبقة الوسطى، محدودة التفكير، وإنه سيعود إليها حين تصبح ناضجة راشدة. يومذاك صاحت به: «تعني حين أصبح مستعدة لأكون زانية؟».

وحبس الغضب الدموع في عينيها.

ولكن في الحلم لم تقدر أن تتكلم أو تتحرك بل كانت تشعر فقط بألم الخيانة ينغرز في أعماقها كالسكين. أرعبها أن تعرف أن جايمس، الذي تحبه، والذي كانت تؤمن بأنه يحبها، على استعداد للتضحية بها من أجل امرأة اشترته بمال أبيها.

كان قد قال لها مرات ومرات: «أنا لا أحبها كما أحبك. . وأنت تعرفين هذا جيداً يا حبيبتي. كان من المعروف دائماً أننا سنتزوج. . لقد رتبت عائلتنا هذا منذ سنوات. لوالدها ووالدي مصالح مشتركة. . كما ترين. . وأنا لا أقدر أن أنسحب. ولكن هذا لن يشكل أي عائق بيننا».

وكانت تردّ دائماً: «بل لهذا أثر كبير وحاسم جايمس. . لأنني لا أستطيع البقاء».

في حلم ليلة أمس عاد جايمس مجدداً يقف قرب المذبح في كنيسة ضخمة وإلى جانبه (جيني) بفستانها الأبيض. . حاولت الوصول إليه. . كانت تركض في الممر بين المقاعد لتمنع المراسم ولتقول له إنه يرتكب غلطة فادحة.

لكن ساقيها وقدميها كانتا من رصاص، وكلما حاولت بذل جهد أكبر، كلما بدت المسافة أكبر بينهما.

ثم. . أخيراً. . وصلت إلى جانبه، وأمسكت ذراعه تجبره على الالتفاف لمواجهتها. لكنه لم يكن جايمس من ينظر إليها بازدراء. . بل كان غويدو بارتالدي وعيناه كقطعتين من صوان أسود.

قد تكون هذه الذكريات عادت من جديد إلى الواجهة بسبب حديثها مع فيوليتا. . أما الماركيز فلم يكن قط بعيداً عن أفكارها، مع أن اعترافها بهذا يؤلمها. إنه موجود هناك، في أفكارها. . ومن المستحيل محوه.

لكن، هذا ليس أمراً مستحيلاً في الواقع. . فالوقت والمسافة كفيلان بجعله يخبو حتى يغيب كلياً، وتتحرر مرة أخرى. إنها بحاجة للتخلص منه قبل أن يؤذيها.

كان قبولها بالعيش تحت سقفه أغبى قرار اتخذته في حياتها.

ما كان عليها الموافقة. . ابتلعت ريقها لتتخلص من الغصة التي علقت في حنجرتها. . قرار مجنون. فهو جايمس آخر. . إنه من النوع الذي تكرهه. . رجل يتزوج من أجل المصلحة لا من أجل الحب. . شخص يتعامل مع الزواج كرخصة ليقوم بما يريد. ويتوقع أن تعمد هي لإقناع عروسه بهذا القدر الحتمي. . لكنه لن يعرف بالتأكيد أية إهانة أهانها بذلك وأي ذكريات أثار فيها.

لكنها ليست مضطرة لتحمل الإهانة. ظلت الفكرة هاجعة في غياهب عقلها. قالت لنفسها بصوت مرتفع: «لست مضطرة لفعل هذا. ولن أفعل. سأنسى كل شيء وأرحل من هنا. . وأعود إلى تعقلي. . إلى الأمان».

وضعت عنها الأغطية، ونهضت من الفراش.

بإمكانها الرحيل الآن وقبل أن يحس بها أحد. . وإذا كانت سريعة وهادئة، فقد تبتعد أميالاً قبل أن يفتقدها أحد. . والواقع أنها أتمت توضيب أغراضها، وليس عليها إلا أن تضع حقائبها في الفيات المستأجرة، وتقود مبتعدة.

من غير المحتمل أن تزعجها فيوليتا قبل بضع ساعات، خاصة بعدما تركتها كلير ليلة أمس بحجة أن تنام باكراً، لتُعدّ نفسها للمحنة القادمة.

رمقتها فيوليتا ساخطة: «يا لها من محنة! إن معظم الفتيات يتخلين عن أي شيء ليكنّ مكانك».

قبّلت كلير خدها: «لكنني لست كمعظم الفتيات».

شعرت بالراحة وهي ترى غضب ڤيوليتا المفاجيء يتلاشى وفتنة عرابتها تعود إليها. وأخذت ملابس داخلية وتنورة بسيطة وبلوزة، ثم اتجهت إلى الحمام.

استحمت كلير، ثم ارتدت ملابسها وأخذت تضع خططها.

العودة إلى روما هي على الأرجح أسلم شيء. . وسيكون سهلاً أن تبقى مختبئة بين الجموع، في حال جاء أحدهم للبحث عنها.

في روما، ستجد وكيل سفر وتشتري لنفسها أية تذكرة على أية طائرة تعيدها إلى إنكلترا. وستترك مذكرة لعرّابتها، تقول فيها ببساطة إنها غيرّت رأيها، وابتعدت لتتجنب الإحراج. وكل ما تأمله أن تبقى دعوة ڤيوليتا إلى ڤيلا مينيرڤا قائمة في غيابها. . فمن الواضح أنها كانت تتوق إليها.

إنما الغلطة غلطتي لأنني تراجعت عن الاتفاق. . قالت ذلك في نفسها. . . أما بارتالدي فسينظر لتصرفي بطريقة أخرى. . ولن يكون سعيداً، لأن ترتيباته المتعلقة بباولا تنهار كلياً.

لكن. . في كل حرب لا بد من ضحايا. .

ومشكلة باولا ستبقى. . طبعاً. . عضت شفتها وهي تعترف بهذا. خاصة الآن، بعد عودة فابيو إلى الصورة.

ما زالت باولا، أكبر بقليل من طفلة. ولا تستحق أن تترك تحت رحمة رجل يريد الزواج بها طمعاً بمالها. لا. . إنها مقتت فكرة أن تترك الفتاة مخدوعة. . لكن، ليس لديها خيار آخر.

سأكتب لڤيوليتا لأخبرها بأمر فابيو. فقد سبق لعرابتها أن واجهت أمثاله بعد ترملها. . ولقد تخلصت منهم جميعاً. . ولا بد أنها ستتمكن من إيجاد سبيل ما لإعادة باولا إلى تعقلها.

كانت تنزل الدرج بهدوء حين سمعت حديث خافتاً من المطبخ، وهذا يعني أن أنجلينا باشرت العمل.

فتحت الباب الخشبي الكبير بحذر بالغ. ثم التفت حول الباب لتخرج إلى نور الشمس الصباحية المشرقة.

للحظة بهرها الضوء وأرعش أجفانها. وحين أمكنتها الرؤية مجدداً شاهدت سيارة متوقفة في أسفل الدرج العريض. . وعلى مقدمتها يستند شخص طويل أسمر، كان غويدو بارتالدي واقفاً هناك ومستعداً للانتظار دهراً.

حوّلتها الصدمة وعدم التصديق إلى حجر. فوقفت، تحدّق إليه، فاغرة فمها، صامتة مرعوبة.

رفع نظره إليها: «بونجورنو. . (وابتسم) إنه يوم جميل!».

ووجدت صوتها يخرج مع شيء من التكسر: «ماذا. . ماذا تفعل هنا؟».

ـ جئت لأرافقك إلى ڤيلا مينيرڤا.

صمت. . ورفع حاجبيه سخرية وهو يركّز نظره على حقيبة السفر.

ـ أنبأني شيء ما أنك سترغبين في مباشرة العمل باكراً. وأرى أنني على صواب! (ارتقى الدرجات ليتناول منها الحقيبة دون مقاومة) ما أروع أن نعرف أننا متوافقان هكذا. فهذا نذير خير للمستقبل. . ألا تعتقدين ذلك؟

سحبت نفساً عميقاً: «لا. . لا أعتقد هذا. . ما ألطف أن تفكّر في. . لكني قادرة تماماً على شق طريقي إلى منزلك».

ـ لم أشك قط في قدراتك سنيوريتا. . بل فقط في رغبتك في الوفاء باتفاقنا. لكن ربما أنا شخص كثير الشك بطبيعتي.

وضع حقيبتها في صندوق سيارته، ثم دار حوله وفتح لها الباب إلى جانب المقود.

ـ هل نذهب؟

ـ لديّ سيارتي. . شكراً لك.

ـ آه. . سيارة الفيات التي استأجرتها. . لم تعد هنا.

ارتدت كلير إليه بحدة فوجدت المكان إلى جانب سيارة ڤيوليتا فارغاً. .

فسألت: «أين هي؟».

قال بصوت ناعم كالحرير: «رتبت أمر استعادتها في وقت مبكر اليوم. وعادت إلى مكتب شركة التأجير في بيروجيا. ودفعت الفاتورة كذلك.. أرجو أن يوافقك هذا».

- بل لا يوافقني أبداً.. كيف تجرؤ على اتخاذ هذه الترتيبات دون استشارتي؟

- ليس من السهل استشارتك، وأنت مصرة على النوم كل هذا الوقت.. حين التقيت عرابتك ليلة أمس وجدنا الفكرة حسنة.. وكانت سعيدة بإعطائي الوثائق والمفاتيح.

قالت ببرود: «يا لها من مؤامرة صغيرة! (وأدركت الآن ما الذي أيقظها، إنه صوت سيارة الفيات وهي تغادر) لم أكن أعرف أن شركات تأجير السيارات تبدأ نشاطها مع الفجر».

- إنهم لا يباشرون العمل في هذا الوقت بالتأكيد. أما موظفيّ فيفعلون ذلك حين تدعو الحاجة. (ثم أضاف برقة) والآن.. هل من الممكن أن ننسى الموضوع، أم أننا سنتابع هذا الجدال طوال الرحلة؟ الخيار خيارك.

سألت بحرارة: «أحقاً؟ يبدو لي أن لا خيار لدي أبداً.. فخياراتي فُرضت مسبقاً».

ضحك: «ليس كلها كارا.. فقط تلك التي لا تصبّ في خانة مصلحتك أو مصلحتي».

وقفت حيث هي بعناد: «لم أودع عرّابتي بعد».

تمتم: «طلبت ليلة أمس ألا نزعجها.. وقالت إنها ستراك قريباً جداً.. فهل هناك مشكلة أخرى، أم نبدأ مشوارنا؟».

إنها، الآن، اللحظة المناسبة للقول بأنها غيرّت رأيها، وإلا فلن تجد الفرصة أبداً.. عليها أن تخبره بأنها لن تذهب معه إلى أي مكان. هذه فرصتها للعودة إلى داخل المنزل، والقول لأنجيلينا إنها لا ترغب في رؤية

الماركيز بارتالدي مرة أخرى ما دامت تحت سقف فيوليتا.

لكن الكلمات رفضت الخروج.. وهو ينظر إليها طالباً من نظراتها أن ترد على نظراته. وهذا ما جعلها تدرك أن لا مجال للهرب، وأن القدر تدخل وأصدر حكماً بالموت عليها.

فكرت بهدوء ملؤه الفزع: «لقد فات الوقت كثيراً! لقد تأخر كل شيء!».

سارت ببطء نحو السيارة المنتظرة.

- أنت بغاية الهدوء.

أمضت كلير ربع الساعة الأولى من الرحلة بهدوء، تنظر من الزجاج الأمامي ويداها مضمومتان معاً في حضنها.. وأجفلت لسؤاله: «هل تتوترين خلال ركوب السيارة؟ هل أقود بسرعة كبيرة؟».

فأجابت بصوت بارد: «لست متوترة أبداً.. وأعرف أيها الماركيز أنك سائق ماهر».

أخذت الطريق التي يسيران فيها تتلوى وتلتف بين تلال مرتفعة كثيفة الغابات، لكنها كانت تدرك منذ البداية أن من يقود السيارة يسيطر عليها بثقة، كما يسيطر على كل شيء آخر.

وكانت أيضاً تدرك بشكل شبه ملموس قربه منها في السيارة الضيقة.. تراقبه يغير سرعة السير، ويده على بُعد إنشاتٍ منها.. وترى العضلات في ساعده تتحرك وهو يدير المقود.

كان لكل فعل خفيف، أو ردة فعل، أثر خاص في أعصابها!

بذلت جهداً لتتنفس بشكل طبيعي.. ابتلعت ريقها بصعوبة. إنها بحاجة أيضاً إلى جهد لتتجاهل ارتفاع نبضانها وتدفق دمها.. وتوتر جسمها كاستجابة لقربه منها.

نظر إليها بسرعة: «أنت غاضبة إذن، لأنني عاملتك هكذا».

شهقت ساخطة: «أنا لست غاضبة.. لكن هل تعامل كل موظفيك

بمثل هذا الترفّع؟».

ـ لست أدري.. كما أنه من الخطأ أن تطرحي علي مثل هذا السؤال.. ربما يجب أن تستشيريهم. لكن، يجب أن أوضح أمراً تشيارا وهو أنني لا أنظر إليك على أنك واحدة من موظفيّ.

تصلبت نظرتها الجانبية إليه: «لا أفهم.. لقد طلبت مني العمل عندك. هذا هو اتفاقنا».

ـ لكنني أفضل كثيراً أن تعملي.. معي، كزميلة أو حتى كصديقة..

أحست بالألم يسري في جسمها: «هذا.. لا يمكن أن يحدث».

ـ لم لا؟ فنحن على أي حال، سنعيش تحت سقف واحد.. وستكونين تقريباً فرداً من العائلة.

ـ أنت تدفع لي راتباً وهذا في عرفي يعني أنني موظفة. ولن أقبل أن يكون الأمر بأية طريقة أخرى. وما دمنا نتباحث في التفصيلات، أفضل ألا تستخدم كلمات التحبّب وأنت تكلمني. أشعر بأن هذا.. غير ملائم.

ران الصمت، ثم: «إذن، ماذا ترغبين أن أخاطبك؟».

عضت شفتها: «لا أعرف.. كيف كنت تخاطب مرافقة باولا السابقة؟».

ردّ بتجهم: «سنيورا».

ـ إذن، من الأفضل أن نكون رسميين هكذا.

ـ لكن الحالتين مختلفتين كل الاختلاف. فالسنيورا امرأة عجوز ليس لها شعر مثل أشعة الشمس، وثغر كالعسل.. هل رأيت الفرق؟

ـ إذا أصررت على ملاحظات كهذه سنيور.. فالعمل عندك لن يكون صعباً فحسب.. بل مستحيلاً.. هلا سمحت أن توقف السيارة حالاً.

ـ يا إلهي! محرم علي إذن حتى الغزل المعتدل.

ردت بتزمت: «بكل تأكيد.. إلا إذا كان موجهاً لباولا».

تمتم: «إن هذا لممل!».

ابتلعت كلير ريقها: «إذا كان هذا ما تشعر به فأعد التفكير في أمر الزواج. لأنني أراك سائراً إلى كارثة».

ـ يبدو لي أنك صريحة جداً.. بالنسبة لموظفة. لكن أريحي بالك. أعدك بأنني سأزداد رضى بقدري يوماً بعد يوم.

ـ لكن وجهة نظرك ليست وحدها المهمة.. هل يمكنك أن تقول صادقاً إن الشيء عينه ينطبق على باولا؟

ـ يعود إليك أن تكتشفي هذا.

سألت ببطء: «وإن لم أستطع تنفيذ ما تريد؟ إن لم تتقبل هذا الزواج فماذا سيحدث؟».

ضحك: «أؤمن أنك تملكين قدرة على الإقناع يا حلوتي. إضافة إلى هذا.. عليك أن تفهمي أن باولا بحاجة للزواج. فليس هناك خيار آخر مفتوح أمامها. إنها ليست مدربة لأي عمل مع أنها تفكر في عرض الأزياء. في المدرسة كانوا يعتبرونها فتاة فاتنة عديمة الذكاء».

ـ قد تنجح كعارضة أزياء.

ـ لديها المظهر المناسب ولكنها لا تملك الانضباط.. فحياة العارضة تتطلب منها النهوض من الفراش قبل منتصف النهار، وهذا ما لن يروق لها أبداً. وأشك أن يكون لديها القدرة على التحمل. إنه عمل مرهق جسدياً.

عضت كلير شفتها: «مسكينة باولا».

هز رأسه: «لا تشفقي عليها لأنها ستكون سعيدة.. وآمنة.. وهي بحاجة قبل أي شيء إلى من يرعاها، ويمنعها من القيام بشيء متهوّر يدمّرها».

سألت بمرارة: «كالزواج من الرجل غير الملائم؟».

ابتسم لها: «دعينا نؤجل التفكير في هذا الأمر إلى حين موعد الزواج».

تحرك إحساس غريب داخل كلير، إحساس بالغضب يشوبه شيء من الحسد.

قالت: «فليساعدها الله».

- الله يبارك أفضل الزيجات. تشيارا، أليس هذا ما يقال؟

ردت ببرود: «أعتقد.. أن الناس يقولون أشياء تافهة لا معنى لها».

وعادت إلى الصمت المطبق.

تقع ڤيلا مينيرڤا على رأس واد صغير. إنها منزل منبسط أسمر الحجارة معمّم بالقرميد وراءه تلة خضراء داكنة. بدا المنزل وكأنه أسد مسنٌّ متكبر، ينام في العراء. انتفض قلبها بين جنبيها وهي تلقي أول نظرة إليه عبر الأشجار المصطفة حول طريقه الداخلية المنحدرة.

توقعت منزلاً أفخم وأكبر ولكن الڤيلا بدت بيتاً دافئاً يوحي بالاطمئنان.

فكرت: «إنها جميلة».

لم تدرك أنها تكلمت بصوت مسموع حتى سمعته يعلّق: «شكراً».

بعد دقائق، جاوزت السيارة بوابة يحرسها عمودان، ودخلت إلى فناء ضخم مرصوف أمام المنزل، حيث نافورة يتعالى منها الماء.

لم يكد غويدو يوقف السيارة في أسفل درجات عريضة، تقود صعوداً إلى شرفة مسقوفة بالخشب، حتى هرعت باولا راكضة لملاقاتهما. كان الوجه والصوت مُثارين:

- كلير لقد جئت! لم أعتقد أن هذا سيحدث. ليس بعدما أفلت غويدو سجّانه الآخر عليّ.

ونظرت إلى الماركيز نظرة حقد وهو يخرج من السيارة. قال: «آه... طونيو هنا.. حسناً».

تمردت باولا: «هذا غير جيد..».

لكن كلير قاطعتهما: «اعذريني.. لكنني فهمت أنني قادمة إلى هنا كرفيقة لك يا باولا.. أو كصديقة.. وليس كسجّانة. فإذا كنت تنظرين إليّ هكذا.. سأغادر حالاً».

وضعت باولا يداً متوسلة على ساعد كلير: «لا.. لم أقصد هذا.. لقد تسرعت بقولي. كنت غاضبة».

حين وصل طونيو، قال غويدو ببرود: «إنه هنا في عمل يخص الأملاك.. ومن الملائم له أن يقيم في المنزل، لذا يجب ألا يؤثر وجوده فيك ولا حاجة بك لمكالمته».

ارتفع صوت باولا: «لا أكلمه؟ شخص أعرفه طوال حياتي بالتأكيد سأكلمه! (وأمسكت يد كلير) الآن تعالي وانظري إلى غرفتك».

- حقائبي.

شدتها باولا: «ماتيو سيحضرها».

- ماتيو؟

- إنه مرافق غويدو.. وزوجته بنديتا، هي مدبرة المنزل.

وجدت كلير نفسها في ردهة كبيرة معتمة. وفي البعيد سلم عريض حجري يقود إلى الطابق الأعلى. كانت نوافذ مرتفعة ضيقة تسمح لبقعات مشرقة من أشعة الشمس، بالدخول إلى الردهة. فيما كانت تتوجه نحو الدرج لاحظت كلير عدداً من الأبواب المزدوجة على مسافات منتظمة..

وقبل أن تعرف إلى أين تقود سألت كلير وأنفاسها تكاد تتقطع: «هل هما الساكنان الوحيدان هنا؟».

ضحكت باولا: «كلا هناك الطباخة وخادمتان، إضافة إلى سائق غويدو، وسكرتيره.. ثم هناك البرتو البستاني والرجال الذين يعملون معه وفرانكو الذي يعتني بالخيل..».

- هذا يكلف الألوف.. لم أعرف أن لديكم خيولاً هنا.

- غويدو يحبها. حين كان أصغر سناً، كان يمارس رياضة البولو.

- ألا تركبين الخيل؟

ارتجفت باولا: «لا.. ولا ألعب التنس. مع أن غويدو يرغب أن أتعلم».

ابتسمت كلير: «إنها لعبة رائعة. قد تستمتعين بها».

رفعت باولا رأسها: «أوه.. إنها صعبة جداً.. وأنا لا أحب أن أركض هنا وهناك. لكنني أسبح أحياناً».

قد يكون الماركيز محقاً بشأن افتقار باولا إلى القدرة على التحمل.. وتابعت كلير طريقها وراء الصغيرة.

ـ هل تلعبين التنس كلير.. وتركبين الخيل، وتخرجين في مشاوير طويلة؟

ـ أجل بالتأكيد.

تنهدت باولا: «وتحبين هذه الأشياء حقاً؟ لن أفهمها أبداً. لكنها جيدة، لأن بإمكانك مرافقة غويدو وسأحظى أنا ببعض الهدوء».

فكرت كلير: لكن هذه ليست الخطة أبداً.. وكانت على وشك أن تقول ذلك حين أعلنت باولا وهي تفتح باباً:

ـ لقد وصلنا.

تركت كلير تدخل إلى أكبر غرفة نوم شهدتها في حياتها.

لطالما اعتبرت أن عرابتها تعيش في ترف، ولكن عينيها اتسعتا وهي تنظر إلى السرير الضخم الذي يحتل الغرفة، بمظلته والستائر الحريرية العاجية اللون، والغطاء المماثل المطرز بخيوط الذهب. كان سائر الأثاث ضخماً أيضاً.. ومصنوعاً من خشب محفور قاتم اللون. وفي أحد الجدران باب يؤدي إلى شرفة عريضة ذات درابزين حديدي مشغول بدقة.

كان الحمام الملحق بالغرفة فخماً أيضاً، يغطي أرضه بلاط رخامي وفضي. وفي الزاوية مغطس كبير يتسع لعدة أشخاص.. وكان هناك منصات لوضع المناشف البيضاء التي طرز عليها شعار أسرة بارتاليني.

تابعت باولا كلامها:

ـ أما غرفتي ففي مكان يبعد قليلاً عن الرواق.. وستقيم السنيورة أندرياتي في الغرفة المجاورة لغرفتك. فهل تظنين أنك ستكونين مستريحة هنا؟

سحبت كلير نفساً عميقاً: «أنا أكثر من مستريحة. فكل شيء مذهل.. لا أكاد أصدّق!».

هزت باولا كتفيها: «إنه قديم الطراز ويرفض غويدو أن يغير أي شيء فيه.. عليك أن ترى شقة زوجة أبي الروحي.. إنها حقاً «أليغانتي».. وحديثة جداً. (تنهدت، ثم أشارت إلى حبل حريري متدلٍ، قرب السرير) إذا ما احتجت لأي شيء، رني الجرس، وستأتي فلومينا، إحدى الخادمتين.. ولسوف تفرغ لك حقائبك إذا أحببت».

هزت كلير رأسها: «أستطيع القيام بهذا بنفسي.. ولا أرى أني بحاجة لشيء».

عبست باولا: «حسناً.. سيرغب غويدو أن تشعري بالراحة هنا.. مهما كان رأيي به، لا أستطيع الإنكار أنه مضياف.. وما أشد سروري لحضورك باكراً فبهذا يتسنى لنا تناول الفطور معاً. انزلي إلى أسفل متى كنت جاهزة..».

سارت نحو الباب، ثم نظرت إلى الخلف تخفض صوتها بشكل غامض: «فيما بعد سنتكلم.. سنضع الخطط، تشاو».

واختفت تاركة كلير تشعر بالفراغ إلى حد الارتباك.

أن يكون لباولا رأي في مستقبلها شيء، لكن التآمر معها شيء آخر.. خاصة إذا كان فابيو متورطاً في الأمر! فكرت: يجب أن أكون حذرة جداً. لكن، وفي هذه الأثناء، يجب أن تستمتع بعيشها قليلاً. وأرسلت نظرة إعجاب أخرى في الغرفة حولها، ثم استوت هذه النظرة على السرير الكبير. متسائلة عما إذا كان بالفعل وثيراً وضخماً كما يبدو.

حسناً.. ثمة طريقة واحدة فقط للتأكد.

قفزت في الهواء ثم حطت وسط السرير. وأخذت تقفز صعوداً وهبوطاً، تتفحص الرقّاصات التي واجهت التحدي بنبالة.

استلقت بتلذذ وتكاسل فاتحة ذراعيها ثم رفعت إحدى ساقيها قليلاً إلى

أعلى تنظر إلى المظلة الحريرية فوقها. فكرت حالمة: «هذا ما يشعر به بالتأكيد من يطير فوق الغيم.. سأنام نوماً عميقاً في هذا السرير.. بل سأنام حالاً.. مجرد غفوة..»

لكن القرع الخفيف على الباب، أشار إلى انتهاء ذلك الحلم؛ وصلت حقائبها. ما اسم الخادمة؟ هل قالت باولا إن اسمها فلومينا؟ أجل إنها واثقة من هذا. نادت: «ادخلي».

وعندما انفتح الباب أضافت: «أرجوك اتركي الحقيبة قرب الخزانة، فلومينا. سأهتم بها لاحقاً».

ـ كما تشائين سينيوريتا.

لكن من ردّ لم يكن البتة أنثى.

استوت كلير جالسة، وشدت تنورتها، وبدأ لون الصدمة يغزو وجهها. ذلك أن غويدو هو الذي كان يقترب من الخزانة ويضع الحقيبة قال: «آسف، لأنني أجفلتك.. حملت إليك أغراضك بنفسي كي أتأكد من أن لديك كل ما تحتاجين إليه».

ابتلعت كلير ريقها: «أجل.. أنا.. كل شيء..».

لم تستطع أن تتصور بماذا يفكر بعدما وجدها مستلقية فوق السرير الثمين على هذا الشكل.

سار ببطء في الغرفة، ووقف في أسفل السرير، ينظر إليها وهو يـ قليلاً:

ـ أعجبك السرير؟ (كان تقرير أمر واقع لا سؤالاً.. هزت كلير رأسها) إنها الغرفة التي كانت تستخدمها أمي حين كانت تأتي إلى هنا قبل زواجها وخلال تودّد أبي لها.. وكان من المفروض أن تكون على مسافة آمنة من غرفته، في الجانب الآخر من الرواق، إضافة إلى هذا! كانت أمها تقيم في الغرفة المجاورة.. على أي حال، أن يجد المرء نفسه تحت سقف واحد التي يرغب فيها لأمر فيه إغواء كبير! ألا تعتقدين هذا.. تشيارا؟

جف فمها.. لكن جسمها أخذ يذوب فجأة..

ـ أنا.. أنا لا أعرف.

أحست بقطرات العرق تعلو جبينها.. وشعرت بالحر الشديد يغمر كيانها.

أنبأها شيء ما أن كل ما عليها أن تفعله هو أن تمد يدها إليه مستجيبة.. ولكن علاقتهما لن تكون أبداً علاقة سامية ولن تعدو أن تكون علاقة نزوة. ستقدّم له قلبها وروحها.. وهي هدية لا يريدها أبداً..

لن تعرف أبداً كم اقتربت من فضح كرامتها واحترامها لذاتها. استطاعت أخيراً أن تجد صوتها. فقالت بهدوء: «كانت أزمة مختلفة سنيور.. وأناساً آخرين.. والآن، هلا عذرتني! أريد ترتيب ثيابي. هل تسمح أن تقول لباولا إنني سأنضم إليها بعد دقائق؟».

ساد الصمت.. ثم قال بهدوء: «سيكون هذا من دواعي سروري».

لم تنظر إليه وهو يبتعد.. وأحست، أكثر مما سمعت، الباب وهو يُقفل وراءه.

حتى بعد أن عرفت أنها أمست وحدها، لم تتحرك، بل بقيت حيث هي جاثية بتوتر فوق السرير، وذراعاها ملتفتان حول جسمها... وكأنما البقاء بسكون وجمود سيحميها بطريقة ما من الكارثة، من الخطر الذي شعرت به منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها.. خطر كشف أسرار نفسها.

قالت لنفسها، بقوة وإصرار: يجب أن أكون حريصة جداً، بالفعل. حريصة جداً. وارتجفت.

* * *

٧ ـ غلطة فادحة!

لا يمكنها أن تبقى في مكانها، مختبئة في غرفتها مع أن هذا أكثر ما ترغب فيه.

هذا القدر على الأقل، واضح لها، من بين ذلك الضباب الذي يلف أفكارها أو يشوّشها! فالبقاء غاضبة في غرفتها سيكون مفضوحاً واعترافاً بأنه استطاع التأثير عليها.. لقد استطاع اختراق الحواجز التي رفعتها حول مشاعرها التي جعلتها في حالة غليان، ولن تستطيع السماح له بمثل هذا النصر.

لقد اختار باولا، وينوي الزواج بها. وهذا كل شيء.. وأي شيء غير هذا مجرّد عبث.

إذن.. عليها مقاومته.. لكن ليس بمقاومة النار بالنار.. وعليها أن تظهر له بأدب ولباقة أنها غير مهتمة أو متأثرة بفتنته وجاذبيته، وأنه لن يستطيع الوصول إليها مرة أخرى.

قد يتطلب هذا وقتاً.. لكنه في النهاية سيستلم الرسالة.. إنه رجل مجرّب.. والمحاولة من جانب واحد سرعان ما تفقد أهميتها عنده.

بالنسبة إليها، المقاومة الحقيقية ستكون بينها وبين نفسها. فالأهم هو إجبار نفسها على السيطرة على أحاسيسها المعرّضة للخطر.. وإخماد كل ما لديها من مشاعر ضعيفة.

عليها أن تبدأ بذلك منذ الآن.. يجب أن تنزل إلى تحت وتنضم إلى غويدو بارتالدي وعائلته في غرفة الطعام لتناول الفطور، وهذا ما سيتطلب كل ذرة من رباطة جأش في كيانها.

فتشت في حقيبة السفر فأخرجت فستاناً بسيطاً عملياً، كحلي اللون بياقة مستديرة. بعد ذلك مشطت شعرها وعقصته فوق عنقها بمشبك.

هكذا أفضل.. ونظرت إلى نفسها نظرة ناقدة في المرآة الطويلة.. فرأت أنها تبدو هادئة، ومثالاً للمرأة العاملة، وهذه هي الصورة التي تناسبها..

سحبت نفساً عميقاً ثابتاً، ثم بدأت تنزل الدرج. كان «ماتيو» ينتظر في الردهة ليرشدها إلى غرفة الطعام.. وبادلته ابتسامته: «غراتزي.. هناك أبواب كثيرة!».

ـ ستعتادين عليها بسرعة سنيوريتا.. سي.. سريعاً ستشعرين بأنك في بيتك.

وهذا آخر ما ترغب أن تسمعه.

ساعدها أنها رأت غرفة الطعام مكتظة بالناس.. وتمكنت من الابتسام للجميع وردّت على «البونجورنو» بأدب، وتجاهلت الرجل الطويل الواقف قرب النافذة في طرف الغرفة.

تقدمت باولا إليها: «هذه أنت إذن. لقد تأخرت دهراً! (ودسّت ذراعها في ذراع كلير) الجميع ينتظرك. (وقادت كلير إلى رجل مسنّ أنيق، هو ذلك الذي لمحته خارج ڤيلا روزا) هذا عم كويدو.. الكونت دي ماكنيللي. هل لي أن أقدم لك تشيارا ماريوت التي ستكون رفيقتي».

ـ إنه من دواعي سروري سنيوريتا.. وهو أمر طال انتظاره. (كانت مصافحة الكونت لها حازمة وكان وجهه لطيفاً) لقد سمعت الكثير عنك.

قالت كلير بصوت مخنوق: «لا أعتقد أن المركيز هو الذي أخبرك.. نحن لا نكاد نعرف بعضنا بعضاً».

بدت عليه الدهشة.

ـ غويدو! بل كنت أشير إلى السنيور أندرياتي فهي التي أخبرتني.

ـ آه.. هكذا إذن.

أدركت بذعر أن غويدو سمع كل كلمة تُبُودِلَت وأخذ ينظر إليها باهتمام. ثم ارتدت لمقابلة طونيو ليروتشي، الذي قدمته باولا بطريقة عفوية شبه فظة.

كان أصغر سناً مما تصورت، متوسط الطول، وذا ابتسامة ساخنة تضيء وجهه الأسمر.

ـ ما أروع أن ألتقي بك سينيوريتا! دعيني أحضر لك بعض القهوة.

شكرته، وأخذت تتحدث بهدوء وهي تملأ طبقها باللحم البارد والنقانق والجبن التي اختارتها من طبق كبير ثم تناولت رغيفاً طازجاً من سلة قدّمتها إحدى الخادمتين.

اتخذ غويدو مكانه على رأس المائدة.. أما هي فقد سعت للجلوس في الطرف الآخر. وكان أن وجدت نفسها قرب الكونت.

ـ إذن.. سنيوريتا، ما رأيك بڤيلا مينيرڤا؟ أم أن الوقت مبكر على الحكم؟

ـ أبداً.. أظنها.. جميلة. (نظرت إلى السقف المزخرف) لا بد أن هذا قديم جداً!

ـ عمره تقريباً أربعمئة سنة. وكما ترين، إنها صورة للملكة ليديا والإله زيوس الذي كان يأتي إليها متنكراً بزيّ أوزّة برّية.. (وأشار بيده) وهناك الآلهة «حيرا» تراقبهما بحسد.

ـ كما فعلت هذا دائماً.. اللوحة في حالة ممتازة.

ـ لقد جدّدت بعض الشيء، كمعظم كنوز المنزل.

أدار رأسه نحو الماركيز: «غويدو إني أخبر السنيوريتا ماريوت بأنك حارس أمين لما ورثته من كنوز.. وأن ابنك سيكون رجلاً محظوظاً».

أجفلت كلير في داخلها.. ولكنها ما أن رأت باولا ترفع رأسها بعبوس

متمرد حتى سارعت للتدخل فطرحت سؤالاً عن تاريخ المنزل، رد عليه الكونت بسعادة.

كان واضحاً منه حماسته ومعرفته.. بعد قليل نسيت كلير نفسها في السعادة المطلقة التي أحست بها وهي تصغي إليه. خلال حديثهما، عرفت أنه كان متزوجاً من عمة غويدو، ولهذا هو يدعوه بعمّه.. لكنه الآن أرمل منذ ما يقارب الخمس سنوات. قال: «وللأسف، لم نرزق أولاداً.. لذا كان غويدو بالنسبة إلينا أكثر من ابن أخ. ولأنني أعيش وحيداً فقد أصرّ على أن أبقى جزءاً من عائلته. إنه يتحمّل واجباته ومسؤولياته.. مع أنني أعترف أنه تأخر أكثر من اللازم عن الزواج، وهذا ما لم يكن والده ليوافق عليه».

عضت كلير شفتها: «ربما ينتظر أن تكبر عروسه».

ـ أو يرغب أن يتأكد أنها المرأة المناسبة لتملأ عليه حياته.. فهو يرغب ضمنياً أن يكون زواجه سعيداً كزواج أبويه.

إذن.. لماذا يريد أن يتزوج باولا؟

وعضّت على لسانها لتمنع السؤال، إذ لا يحق لها أن تطرحه.. وإذا كان مصمّماً بما فيه الكفاية، فليتعلم من هذه التجربة السيئة.

بعد الفطور، وجدت كلير نفسها تحت إمرة باولا، بحجة أنها تريد أن تريها الحدائق. قالت: «لا بأس.. لكن، فيما بعد، علينا القيام ببعض العمل. فأنا هنا في الأساس لأعطيك دروساً في اللغة».

عبست باولا: «مدرسة.. هناك دائماً المزيد من الدرس مع غويدو!».

ـ من المهم أن تتمكني من الحديث إلى الزبائن الغرباء وأنت معه.

ضحكت باولا: «لكن هذا لن يحدث أيتها السخيفة. وفابيو لا يتكلم إلا الإيطالية.. لذا يمكنك الادعاء أنك تعطيني دروساً».

فكرت كلير بقلق وهي تلحق بالفتاة إلى الحدائق المشمسة.. أعتقد أنني بدأت فعلاً بادعاءات لن أقدر على معالجتها طوال حياتي!

رغم وساوسها، وجدت كلير أول يوم لها في ڤيلا مينيرڤا يمرّ بهدوء

أكثر مما توقعت.

دارت في الحدائق مع باولا، وهي تصغي بأذن صمّاء لخطط متعددة وغير قابلة للتنفيذ تعرضها باولا عن مستقبلها.

كانت الأراضي التابعة للڤيلا واسعة جداً والظاهر أنهم يحافظون عليها بشكل دقيق.. وكم رغبت كلير لو تستوعب كل شيء بهدوء وأمان.

حاولت كلير أن تسأل باولا ماذا يعمل فابيو ليكسب قوته.. وأين سيعيشان بعد زواجهما، وكيف سيدفعان فواتيرهما. لكن الصغيرة دأبت على صرف النظر عن كل شيء، على أساس أن لا صلة له بالموضوع. أعلنت بجرأة: «كل ما يهم، هو حبنا لبعضنا بعضاً.. أضيفي إلى هذا أنني سأرث مالي حين أكبر، ويجب أن أجبر غويدو على إعطائي جزءاً منه فوراً».

رفعت كلير حاجبيها، وهزت رأسها: «بعدما تستغفلينه وتهربين مع فابيو؟ أنا لن أعتمد على هذا».

قالت باولا بلهجة المنتصر: «آه.. ولكنه لن يرغب أن يعرف أحد أنني استغفلته.. لذلك ومن أجل كرامته، سيفعل ما أريد. لئلا يظن الناس أنه لا يهتم».

في هذا شيء من المراوغة. قالت: «حسناً.. آمل أن تجري الأمور نحو الأفضل.. والآن.. أخبريني بأسماء هذه الزهور بالإنكليزية».

لكن هذا ما لم تستطع باولا القيام به واعترفت بأنها لا تعرف أسماءها حتى بالإيطالية.

- بدلاً من هذا سنذهب إلى بركة السباحة، ونسبح قليلاً.

- باولا، أنا هنا لست في إجازة.

احتجّت باولا: «لكنه يومك الأول.. ولن يعرف غويدو.. فهو وطونيو سيختليان في المكتبة طوال فترة الصباح. يتحدثان عن المزارع، وكروم العنب وبساتين الزيتون.. كل ما سنحتاج إليه، هو تجنب زيو سيزار، المضجر».

- إنه ليس هكذا.. لقد أسرت بما كان يقوله لي عن الڤيلا.

نظرت إليها باولا بعدم تصديق: «تشيريا أتودين سماع أشياء عن نهضة الأترورين والهندسة، ومدرسة رافاييل؟».

رمت يديها في الهواء: «إذن.. لا أمل فيك».

وافقت بهدوء: «لا.. لا أعتقد أن فيّ أملاً!».

وكانت بركة السباحة لهما وحدهما.. همّت كلير بالعودة إلى المنزل لتجلب ثوب السباحة، لكن باولا أرشدتها إلى غرفة حجرية بنيت على شرفة مسقوفة تظللها أشجار السرو.. إنها بمثابة مكان للاستحمام ولتبديل الملابس.. وقالت لها إن هناك دائماً عدداً من أثواب السباحة بمعظمها مؤلفة من قطعتين.. فاختارت كلير ثوباً من قطعة واحدة بلون برونزي قاتم.

وجدت البركة رائعة، بيضاوية الشكل طويلة، بمائها التركوازي المتلألىء، تقدّمت إلى حافتها، ووضعت قدمها في الماء. أحسّت ببرودة الماء المنعشة.. وقفت تحضّر نفسها، ثم قفزت، بسرعة ودقة، لتكمل ثلاثة أشواط دون توقف.

قالت باولا عندما خرجت كلير من الماء تنفضه عن شعرها:

- أنت مجنونة.. مثل هذا التمرين غير جيد.. ستصبح عضلاتك كعضلات رجل.

ضحكت كلير:

- سأخاطر بهذا.

جففت نفسها، ثم تمددت على كرسي طويل للنوم، قريب من باولا.

كان الصباح بارداً لكن الحرارة عما قريب ستشتد.. وبعد بضع ملاحظات متفرقة عن توقها لسماع أي شيء من فابيو، صمتت باولا، ثم استسلمت للنوم.

لكن أفكار كلير منعتها من النوم.. وربما كان من الحكمة لو قالت

لغويدو ببساطة إن الزوجة العتيدة تخطط للهرب مع صائد الثروات، وتتركه يتعامل مع الموقف بطريقته الخاصة.

وإن فهم إلى أي درجة تريد باولا الخلاص منه، فقد يتخلى عن فكرة الزواج بها.. أو سيجعله هذا أكثر حرصاً على كسب ودّها. إنه ليس رجلاً يستسلم بسهولة.

تنهدت ثم استوت جالسة ونزلت عن الكرسي لأن مزاجها العكر يمنعها من الاستلقاء.

قالت بصوت رقيق: «باولا! أنا عائدة إلى المنزل لأنهي ترتيب ثيابي، ولأضع ملاحظات للدروس.. أراك وقت الغداء».

كان الرد الوحيد، تمتمة ناعسة قد تعني أي شيء.

لفت المنشفة حول كتفيها وأخذت ترتقي الدرجات القليلة بين سياجين من الشجيرات الشائكة، باتجاه غرف الملابس.

كان الجو عابقاً بالروائح الطيبة، وضاجاً بطنين الحشرات.. سحبت نفساً عميقاً، وأحسّت فجأة، برائحة أخرى أقل قبولاً.

في مكان قريب، كان هناك من يدخن سيكارة. عبست عندما رأت بين صف أشجار السرو شابا واقفاً هناك، يستند إلى جذع إحدى الشجرات والسيكارة المزعجة بين شفتيه المبتسمتين قليلاً. ينظر نحو بركة السباحة.. كان يرتدي جينزاً متسخاً، عاري الصدر، وبدا وسيماً بشكل واضح؛ والظاهر أنه يدرك مدى جاذبيته.

فكرت أنه أحد العاملين في الحدائق، يختلس النظر إلى باولا وهي مستلقية وكان غارقاً في هذا بحيث لم يسمعها تتقدم. قالت ببرود:

ـ أليس لديك عمل تقوم به؟

أجفل وارتدّ ينظر إليها: «أنا آسف سنيوريتا».

جاء صوته مهذباً، ومتملقاً، لكن نظرته كانت مُهينة، تتسلل إلى جسدها مقوّمة.

ـ كنت أستريح والواقع أنني لم أعلم بوجود أحد في البركة.

رفعت كلير ذقنها، ونظرت إليه بريبة:

ـ حسناً والآن بعدما عرفت اذهب واسترح في مكان آخر.

ـ سي سنيوريتا.. فوراً.. سامحيني. أنا لم أباشر العمل هنا منذ مدة طويلة، ولا أفهم... لكنني بحاجة إلى هذا العمل سنيوريتا.. أنا ابن عم ماركو. وهو من تحدث إلى السنيور ليروتشي عني.

لم تعد كلير تشعر برغبة في سماع المزيد.. سوّت المنشفة على كتفيها وبدأت بارتقاء الدرج. ولكن صدمها أن تشعر أنه ما يزال واقفاً حيث هو، يضحك منها خلف ظهرها.. استدارت تتحداه.. ولكنها لم تجد أثراً غير السيكارة التي رماها أرضاً.

وقفت تحت الدوش، تفكر في أنها ستسأل طونيو ليروتشي عن ابن عم ماركو هذا.

خلعت ثوب السباحة ولفت منشفة أخرى حول نفسها ثم دخلت إلى غرفة الملابس الضيقة لترى ملابسها.

لكنها أدركت حين دخلت أنها أخطأت بطريقة ما.. فالفستان المعلق لا يشبه أبداً فستانها الكحلي الرسمي.. فهو أزرق اللون نابض بالحيوية وكأنه من اللازورد.

همّت بالخروج للتفتيش عن ثيابها، حين لاحظت أن كومة الثياب الداخلية المطوية بترتيب على المقعد المرتفع في الزاوية، هي ثيابها بلا شك.

وفي اللحظة ذاتها رأت أن على الفستان الجديد ورقة مثبتة على حافة تنورته.

أخذتها وبدأت بقراءة الرسالة عابسة: «سامحيني.. لكن الوقت حان للتخلص من الفستان الكحلي.. وأرجو أن يسعدك بديله.. غ. ب».

استشاطت غضباً.. صاحت بصوت مرتفع:

ـ كيف يجرؤ؟ كيف يجرؤ على فعل هذا.. كيف يجرؤ على انتقادي؟

أبعدت عن تفكيرها أن الفستان الكحلي لم يكن محبباً إليها.. وتجاهلت

صوت العقل الذي أخذ يذكّرها بأن كل ما فعله الماركيز هو أنه عرف ماذا تقصد، واستجاب بطريقته الخاصة المثيرة.

تابعت بصوت عاصف: لا يحق له.. سأكون ملعونة إن ارتديت هذا الفستان اللعين.. سأراه في جهنم قبل...

لكنها أدركت الخيارات الأخرى المفتوحة أمامها.. فإما أن ترتدي ثوب السباحة الرطب الملتصق، أو تسير هكذا، بثيابها الداخلية. والبديلان لا يروقان لها.

من ناحية أخرى، لا يمكن السماح لغويدو بارتالدي بهذا التصرّف المتسلّط. ارتدت كلير على مضض ثيابها الداخلية وعملت على ارتداء الفستان وملؤها الأمل بألا يناسب مقاسه مقاسها، مع أن هذا يعني أن تلفّ حولها المنشفة، وتعود إلى المنزل.

لكن الفستان ويا للأسف التف حول ثناياها المنحوتة النحيلة بشكل كامل.. كانت الياقة المستديرة ساحرة وأطراف التنورة تهمس بشكل حريري على ساقيها.. وبدا اللون رائعاً عليها أيضاً.

ولكن هذا زاد الأمور سوءاً. فقد دلّ أنه يعرف مقاسها بالتحديد وشكلها ولون بشرتها حتى.

وجدت نفسها ترتجف غضباً. إنها بحاجة للسير إلى هذه المواجهة، لا أن تتراجع مرتجفة. لكن، حين توجهت إلى الفيلا.. تسمّرت في مكانها إذ أدركت أنه ليس لديها فكرة عن مكان غويدو. ولم يكن هناك أحد يرشدها إلى الطريق.

وبينما هي تقف، تفكر بحركتها التالية، انفتح باب في الردهة الضخمة، وظهر منه طونيو ليبروتشي.. لم يرَ كلير في البدء لأنه ما زال ينظر إلى داخل الغرفة التي خرج منها لينهي حديثاً مع الجالس فيها.

حين ارتدّ، ارتفع حاجباه بدهشة صريحة.. وقال ضاحكاً:

ـ سنيورا ماربوت؟ سامحيني.. لم أكد أتعرف إليك.

ابتسمت كلير له بعذوبة:

ـ لا تشغل بالك بهذا سنيور. أحياناً لا أكاد أعرف نفسي.. هل سيدنا.. وحده؟ أريد أن أتحدّث إليه.

ـ سيكون هذا من دواعي سروره.

ومدّ يده بإشارة مهذبة تدعوها للدخول إلى المكتبة.

كانت غرفة كبيرة مليئة الجدران بالكتب ومظلمة قليلاً.. وجوها الرسمي التقليدي متعارض مع الأبواب الزجاجية المرتفعة المفتوحة على الحديقة الغارقة بأشعة الشمس. كان غويدو جالساً إلى منضدة حديثة عليها معدات الكومبيوتر. أما ملابسه فعبارة عن شورت وقميص قطني غير مزرر.

وفيما كانت تقفل الباب وراءها، قالت بصوت واضح:

ـ أريد كلمة معك سنيور.

رفع رأسه ينظر إليها.

ـ لكنها ليست كلمة سارة على ما يبدو.. خلتك أتيت لتشكريني.

ارتفع صوتها منفعلاً:

ـ أشكرك؟ على ماذا؟ على إهانتي؟

ـ إهانتك؟ وكيف أهنتك؟

أمسكت قماش الفستان بين أصابعها، وشدته إلى الأمام بقرف:

ـ تعرف جيداً كيف.. بهذا.

ـ من المؤسف ألا يعجبك.. لكن بإمكاننا أن نجد شيئاً آخر.. هل أغضبك اللون.. أم القماش؟

عضت على شفتها بقوة:

ـ لا هذا ولا ذاك.. بل مسألة شرائك ثياباً لي.

ـ أنا أشتري الزيّ الرسمي لكل موظفي المنزل، ولم يتذمر أيٌّ منهم.

شهقت:

ـ أتسمي هذا زياً رسمياً؟ أنت تمزح بلا شك.
ـ حسناً فلنتفق على تسميته ثوب عمل.
سحبت كلير نفساً عميقاً وقالت بقوة:
ـ دعنا لا نغفل شيئاً من هذا. . في كل أعمالي السابقة كنت أرتدي ملابسي الخاصة.
ـ وهل ملابسك كلها تشبه الفستان الذي كنت ترتدينه وقت الفطور. . أم لعله اختيار استثنائي؟
لم تحسّن رنة الدعابة في صوته من مزاج كلير الغاضب؛ فقد رأت أنه فهم الدافع من وراء مؤامرتها الصغيرة. قالت بصوت متوتر:
ـ يؤسفني ألا يناسب ذوقي في الأزياء مقاييسك. . إنما ما زلت أفضل ارتداء ما أنتقيه أنا بنفسي. . وأريد استرجاع فستاني الكحلي. . رجاءً.
ـ آه. . قد تكون هذه مشكلة. .
ـ لماذا. . ؟
قال غويدو بهدوء:
ـ هناك عدة أسباب. . أولاً. . عمي، الذي هو كما تعرفين، مؤرخ للفنون. . وإحساسه بالجمال أهين هذا الصباح، عندما رآك تحشرين نفسك في ذلك الثوب. وهو لم يعد صغيراً ويجب أن أراعي مشاعره. . هل ترين كيف هي الأمور؟
ـ لا. . لا أرى شيئاً.
ـ إذن. . هناك مصير الفستان بحدّ ذاته. لقد قلت «لفلومينا»، التي قامت بالتبديل، أن تحرقه. وأنا واثق من أنها أطاعتني.
نظرت كلير إليه دهشة، وقالت بهدوء ينذر بالشر:
ـ أحرقت. . فستاني؟
هز رأسه:
ـ بدا لي هذا أسهل حلّ. وإلا ظلّ يلاحقنا طوال إقامتك هنا.

اهتز صوتها:
ـ لكنها إهانة لي. . لا يمكنك القيام بشيء كهذا.
ـ لسوء الحظ. . لقد قمت به مع أنني لا أدعي أنني آسف حقاً. . خصوصاً وأنت واقفة هنا أمامي، مرتدية الفستان البديل. (أنزل نفسه عن طرف المنضدة) يا إلهي! كم أنت جميلة!
نظرت إلى الأرض. . تبعد نفسها عن النظرة التي تكاد تحرقها، وشعرت بحلقها يضيق. قالت بهدوء:
ـ لا يحق لك أن تكلمني هكذا. . ولايحق لك قول كل هذه الأشياء لأية امرأة، ما عدا باولا.
ـ لا داعي لقول هذا لباولا. . أما أنت. . ميابيلا. . فمسألة مختلفة. . وأنا لست أعمى.
قالت بصوت مرتجف:
ـ لقد وعدت ألا تتكلم هكذا. أما قلت إنني إذا جئت إلى هنا سأكون آمنة؟
ـ وهكذا أنت تشيارا. . أكثر أماناً مما قد تكونين أبداً. لكنني لم أدعِ قط أن الأمر سيكون هيناً أو أنني لن أتعرض للإغراء.
لم تجرؤ على النظر إليه:
ـ الأفضل أن أذهب. . إذا كنت تريد مني الاحتفاظ بهذا الفستان سنيور، فأنا أصر أن تحسمه من راتبي. لا أحد يدفع عني ثمن ملابسي.
ردّ بكلمات مقتضبة حارة: «كما تشائين».
قالت بشيء من التهوّر: «بالنسبة لباولا. . قد لا تكون آمنة كما تعتقد. . إنها تعرف بأمر السيدة التي تقيم معها علاقة في سيّنا».
وعندما توجهت نحو الباب، أحست بحركة خلفها ثم بيده القوية تمسك بها وتديرها نحوه.
سأل بصوت أجش:

ـ عم تتحدثين؟ ماذا قالت لك؟

حاولت تخليص نفسها:

ـ لم تخبرني بالتفصيل بل اكتفت أن قالت إن لديك اهتمامات أخرى.

ـ وصدقتها؟

ردت بانفعال:

ـ ولماذا لا أصدقها؟ على أي حال ماركيز، لم يكن في تصرفاتك، حتى الآن، ما يقنعني بأن الإخلاص هو من شيمك.

ما إن قالت جملتها هذه حتى ندمت عليها. لكن الوقت كان متأخراً.. ورأت وجهه يكفهر وبشرته تشتد فوق صفحة وجهه الجميلة.. كما رأت الغضب البارد يلمع في عينيه. وكان الجليد في صوته:

ـ إذا كان هذا ما تظنين.. تشيارا، فلماذا أتردد حتى الآن؟

وبحركة واحدة سريعة، جذب كلير إلى ذراعيه، يشدّها إليه.. ويجبرها على معرفة أنه ليس غاضباً فقط بل ينوي معاقبتها. كانت حرارة عناقه تخترق قلبها.. وعلقت أنفاس كلير في حلقها.

للحظة طويلة، نظر إليها، يبحث في عمق عينيها، وفي وجهها الضعيف.. فجأة تلاشى الغضب والبرود عن وجهه وحلّ محلهما تعبير رقيق. وبدأت يده تتخلل شعرها بحركة تُقودها لعناقه.

عرفت أن عليها أن تحتج.. أو أن تحاول على الأقل، لكنها لم تستطع أي شيء... كانت مأخوذة به مسحورة، متوترة.

للحظة قصيرة استسلمت لذراعيه، وتركت المجال لأولى ذبذبات السعادة بالسريان إلى أعماق كيانها.

عقدت ذراعيها حول كتفيه، تتعلق بهما وكأنها غريق، وبدت دقات قلبها وكأنها قصف الرعد في أذنيها.

لكن هذا ترافق فجأة، وبقسوة، مع ضرباتٍ أخرى. وأدركت كلير أن الصوت كان طرقاً على الباب.. استقام مقطباً فأبعدت نفسها عنه،

وتراجعت خطوة إلى الوراء، وضغطت كفّيها على وجنتيها المحترقتين محاولة السيطرة على أنفاسها المضطربة.

نادى غويدو:

ـ من هذا؟

ـ ماتيو سنيور.. لأقول لك إن السنيورا أندريتي وصلت، وإن سيارتها في الخارج الآن.

ـ سأكون معك على الفور.. وأخبر عمي بهذا أرجوك.

نظر إلى كلير، نظرة باردة:

ـ توقيت عرّابتك دقيق جداً ميابيلا.. لقد أنقذتنا معاً من غلطة فادحة.. (صمت قليلاً، وأردف) سأخف لاستقبالها.. لكن، ربما تفضلين الخروج إلى الحديقة.. سأرسل إحدى الخادمات لتجدك بعد قليل.

ردت بصوت لا يكاد يُسمع:

ـ أجل ربما هكذا أفضل.

تقدّمت إلى الأبواب الزجاجية تكاد تركض، متعثّرة بعض الشيء. ظنت أنها سمعته يقول: «تشيارا». لكنها لم تقف أو تستدرْ، بل بقيت سائرة لتخرج إلى نور الشمس الباهر وشفتها السفلى عالقة بألم بين أسنانها وجملة «غلطة فادحة» تدور مرات ومرات في رأسها.

* * *

٨ ـ بين يديّ مينرفا

كاد جزء من كيان كلير، يموت خجلاً. . بينما الجزء الواقعي فيها رأى أن الحياة مكان مقفر ما لم تشعر بذراعيه حولها.

لكن قد أنجو بهذا. . تقريباً. . وما لا أستطيع تحمله أنني قريباً سأغادر هذا المكان. . ولن أراه ثانية أو أسمع صوته، أو أرى فمه يلتوي بابتسامة بطيئة عابثة.

كان الأمر بالنسبة إليها وكأنها لمحت الجنة، ثم أبعدت عنها إلى الأبد. . . وكان هذا أكبر تحوّل في حياتها كلها.

لم يكن مجدياً التفكير في أنها وغويدو بارتالدي لا يعرفان بعضهما البعض سوى منذ أيام، وأن كل ما تعاني منه ليس إلا انفعالاً جسدياً، قد تشفى منه سريعاً.

هتف بها قلبها أن الأمر لا بد أعمق من هذا، وأنها تودّ قضاء ما تبقى من حياتها معه، تضحك معه، تقاتل، بل تخوض المعارك بين حين وآخر معه وتجعله سعيداً، بطريقة تعرفها وتعرف أنها قادرة عليها.

لكن لدى غويدو خططه الخاصة، التي لا تشملها، إلا إذا رضيت بالبقاء على هامش حياته كتلك المرأة في سيّنا.

الواضح أن لديه سبباً يمنع سير حياته على مستويين. وبهذا خطط للزواج بفتاة جميلة لا تكاد تشاركه فكرة واحدة، بينما يعيش حياة أخرى

أكثر اكتفاء وعلى مسافة آمنة. . أثار الحزن وسخرية القدر في هذا، في نفسها البكاء، عليها أن تحتقره. لكنها لن تستطيع!

وبخت نفسها: بلهاء. . حمقاء مثيرة للشفقة! عندما وجدت مقعداً منعزلاً تحت عريشة مزهرة في مكان بعيد عن المنزل جلست هناك وضمت جسمها بين ذراعيها وكأنها تحميه. . كانت تشعر ببرد مميت رغم حرارة الشمس.

غويدو لن يكرر هذه «الغلطة الفادحة» وأنها ستكون آمنة من أي تحرّش آخر، فكرة لا تبعث على الراحة لأن ذلك لن ينقذها من الشوق إليه.

نظرت إلى ساعتها، ووقفت على مضض. . ظلت بعيدة عن المنزل، حوالى ساعتين. . وها هو وقت الغداء يقترب. . ولا تريدهم أن يبدأوا بحملة تفتيش عنها.

حين وصلت إلى هذا المكان كانت تشعر بعذاب كبير. وهي الآن لا تعرف كيف تقود لكن هذا لا يهم حقاً. . فكل الممرّات تقود إلى الفيلا. ولكن الطريق التي سلكتها لم تقدها إلى الفيلا بل إلى مبنى صغير وإلى جانبه برج مرتفع، افترضت أنه كنيسة عائلة بارتالدي.

وجدت أن المنزل كان على مسافةٍ بعيدة إلى يمينها، وأنها تنظر إليه من الخلف.

تأملت واجهة الكنيسة المنقوشة فرأت تماثيل القديسين التي بدت وكأنها عرفت أياماً أفضل من هذه. تساءلت كيف هو شكل الكنيسة من الداخل، ثم حاولت إدارة مقبض الباب الخشبي الثقيل، متوقعة أن يكون مقفلاً، لكنه انفتح بسهولة، ودخلت.

كان داخل المعبد مظلماً ومعظم النور الخفيف فيه يتسلل من نافذة زجاجية تقع فوق المذبح، الذي كان مرتفعاً قليلاً، ومكسواً بألواح خشبية. . شمّت رائحة البخور ورائحة الغبار الحادة. . إحدى الشموع كانت مضاءة، ولكن المكان بدا مهجوراً وهذا ما أشعرها بخيبة الأمل.

كانت تهمّ بالخروج حين انفتح باب جانبي وبرز «طونيو ليروتشي» أمامها يحمل كومة من الأوراق.

جمد بذهول كامل حين شاهدها.

ـ سنيوريتا ماريوت.. ماذا تفعلين هنا؟

هزت كتفيها: «أحب الكنائس القديمة.. فهل تطفلت على شيء؟».

ـ في الظروف العادية لا مشكلة أبداً. ولكن المعبد والبرج أصيبا بأضرار هزة أرضية.. ولا نعرف إلى أي مدى هي آمنة.

ـ لكنك هنا.

ضحك: «أجل.. إنما لست ضيف شرف لأسرة بارتالدي. فأنا هنا لألقي نظرة أولية قبل أن يصل المهندس في الأسبوع القادم ليقوّم ما يجب أن نفعله».

نظرت كلير حولها مرة أخرى: «إذن سيجري إصلاحه.. ما أشدّ سروري بهذا الخبر! لا يبدو سيئاً جداً.. بل مهملاً فقط».

ـ هذا ما أرجوه.. لكن لن نعرف قبل معاينة البنية الأساسية.. يجب إزالة البرج، لكن الإصلاحات هنا لن تكلف كثيراً بحسب ظني. أما إذا كانت مكلفة.. فأنا أعرف أن غويدو لن يتردّد.

لحقت كلير به إلى الخارج.. وانتظرت حتى أقفل الباب.. ثم قالت بصوت حاولت أن يبقى هادئاً: «لم أدرك أنه مؤمن إلى هذا الحد».

هز كتفيه: «بالنسبة لهذا هو مثلنا جميعاً، يفعل ما بوسعه.. لكن إصلاح المعبد أمر عزيز على قلبه.. وهو ينوي الزواج هنا قريباً».

قالت بصوت خال من الانفعال: «لم أعرف هذا».

ـ ولا يعرفه الكثيرون.. إنه قرار اتخذه مؤخراً.

ـ وهل تعرف باولا؟ فعلى عروسه أن يكون لها رأي في الموضوع.

تبعثرت بعض الأوراق التي كان يحملها على الأرض، فانحنى يستعيدها، وقال بغموض: «لا شك أنه سيختار اللحظة المناسبة لهذا..

وربما من الأفضل ألا نذكر شيئاً».

ابتسمت كلير: «طبعاً.. أرجو أن تجد هذا مفاجأة سارة».

جاء الرد الرسمي: «سيكون لدى زوجة الماركيز بارتالدي كل الأسباب لتكون سعيدة».

آه! يجب أن أتجنب أي نوع من الانتقاد حين أتحدث عن رب العمل المحترم. وأعتقد أنني نلت علامة سوداء بدخولي الكنيسة هذا الصباح.. كان علي أن أدرك ذلك. لهذا سارعت إلى تغيير الموضوع فسألت كم شخصاً يعمل في أملاك بارتالدي، وصدمها ردّه، فابتلعت ريقها: «هذا العدد! وهل تعرفهم جميعاً؟».

ـ أرجو هذا.. يجب أن تفهمي سنيوريتا أن أجيالاً متعاقبة عملت هنا.

ـ هكذا إذن.. لو قلت لك مثلاً، ابن عم ماركو.. فهل ستعرف من أعني؟

عبس قليلاً: «قد لا أستطيع وضع وجه للاسم فوراً.. فلماذا تسألين؟».

ـ آه! التقيته هذا الصباح.. كان يعمل في الحديقة. ولكنه مثير للإعجاب.. ولا يمكن أن تتجاوزه بسهولة.

ـ إذن، فهو لا يشبه ماركو، الذي يشبه الفأر.. هل أعجبك سنيوريتا؟

ـ أرجوك ناديني كلير. فكلانا يعمل على أي حال عند الماركيز.

تردد بشكل واضح.. ثم انحنى لها قليلاً: «كما تشائين كلير.. كنا نتحدث عن ابن عم ماركو».

عضت شفتها: «أجل.. كان واقفاً قرب البركة.. قد لا أكون عادلة في حكمي لأنه بستاني جيد».

قال طونيو مفكراً: «مع ذلك فهو غير مسجل في قوائم عمال الأملاك. ربما استخدمه كبير عمال الحدائق ليعمل مؤقتاً. سأسأل عنه».

تنهدت كلير: «عزيزي.. لا أريد أن أسبّب له المتاعب».

www.rewayat2.com

- لا . . لا . . في المواسم يعمل دوماً أشخاص إضافيون، وهذا شيء عادي، هذا ما أرجوه . .

وتوقف قليلاً حتى تسبقه إلى المنزل .

ما إن دخلت كلير إلى غرفة الطعام حتى بادرتها ڤيوليتا بالقول: «كاراسيما . . أين كنت؟ خلنا أنك ضعت» .

امتقع وجه كلير قليلاً . وشعرت بنظرات غويدو الحادة مثبتة عليها من الناحية الأخرى في الغرفة .

- كنت مستمتعة بالحديقة . فنسيت الوقت .

انحنت تقبل عرّابتها ثم جلست في المقعد المحاذي لمقعدها .

همست ڤيوليتا: «ولست وحدك كما أرى؟ (ونظرت إلى طونيو الذي جلس على مسافة بعيدة نسبياً . ثم نظرت إلى كلير برضا:) يا له من فستان جميل عزيزتي! لم أره من قبل» .

ردت كلير وهي تسكب لنفسها بعض حساء الخضار من الوعاء الكبير: «إنها المرة الأولى التي ألبسه فيها» .

باشرت ڤيوليتا بتناول الحساء .

- إذن . . كارا . . كيف الأمور مع الصغيرة باولا؟ . . تبدو لي متألقة .

رأت كلير، ويا للدهشة، أن الصغيرة تضحك وتتحدث بحيوية مع سيزار دي مانتيلي . . فردّت بهدوء: «لن تكون من أسهل المهمات التي مرت بي . . المسألة ببساطة أنها لا ترغب في تعلّم أي شيء مما أستطيع أن أعلمها إياه . . وأظنها تخطط للاعتماد على فتنتها لتنجح . . وإن لم أستطع إقناعها قريباً فسأترك العمل . وإلا فسأشعر بأنني أقبض مال الماركيز عن غير حق» .

قالت ڤيوليتا بهدوء: «أعتقد أن لديه فائضاً من المال . . لذا لن يقلقني هذا كثيراً . . هل أعجبك العمل عنده، مياكارا؟» .

- ليس كثيراً، بل الواقع أنني أنوي الابتعاد عن طريقه من الآن فصاعداً .

قالت ڤيوليتا: «أظنه متطلباً . . لكنه فاتن . . وأمامك مستقبل لتفكري فيه عزيزتي . . لا ريب أن الاختلاط بالماركيز سيأتي بفائدة» .

وجع القلب لمدى الحياة لا يعتبر أبداً فائدة! وابتسمت ابتسامة متوترة وتمتمت بشيء من التردد .

بعد انتهاء الغداء حملت ڤيوليتا قهوتها وتوجهت إلى الشرفة يرافقها الكونت دي مانتيلي، أما كلير فسعت إلى باولا واقترحت عليها قائلة: «ما رأيك أن نتمشى حتى القرية . . سيعطينا هذا فرصة للتدريب على الحديث بالإنكليزية» .

اعترضت باولا: «لا شيء في القرية . . والمسافة بعيدة للسير في هذا الحر . . وأنا أشعر بصداع . فقد أمضيت وقتاً طويلاً تحت الشمس . . سألجأ إلى القيلولة» .

- هكذا إذن! . في هذه الحالة، من الأفضل أن أكلم الماركيز وأقول له إنه لا داع أبداً لبقائي هنا .

اتسعت عينا باولا . وتمتمت: «لكنك لا تستطيعين فعل هذا . أنا أحتاج إليك . . وتعرفين هذا» .

- لكن الماركيز يدفع راتباً ويجب أن أكسبه بعرق جبيني . . وهذا ما لا أستطيع فعله دون تعاونك معي . (نظرت إلى ساعتها وابتسمت للصغيرة) لنفترق الآن . . على أن نلتقي في الساعة الرابعة، سأحاول أن أجعل الدروس مرحة . وليس مثل المدرسة أبداً .

أوحت نظرة باولا بأنها غير مقتنعة، لكنها وافقت على ما اقترحته كلير وابتعدت هامسة: «لكن هذا مضيعة للوقت . . كلانا يعرف أن لا لزوم لهذه الدروس» .

تنهدت كلير، وارتدت تبحث عن عرّابتها فوجدتها تتمشى مع الكونت في أحد الممرات .

- إنهما زوج أنيق . . ألا تعتقدين هذا؟

وتقدم طونيو ليقف إلى جانبها. نظرت إليه: «أنت لست جاداً!».

فتح يديه: «ولم لا؟ الكونت رجل جذاب.. وأرمل.. والسنيورا جميلة مفعمة بالحيوية، وأرملة».

ـ أجل.. لكنها تحب استقلاليتها.. مثلي تماماً.

ضحك: «إذن، لقد جئت إلى المكان غير الصحيح كلير.. فمنذ مئات السنين وڤيلا مينيرڤا تشهد تودّد الرجال للنساء.. إنه مكان للحب.. للسعادة.. للقاء.. وقريباً سيقام زفاف هنا. ومثل هذه المناسبة، تضع أفكاراً في رؤوس الآخرين.. تذكرهم بأن ليس من الجيد أن يكونوا وحيدين».

ـ أنا لا أوافقك الرأي.. فالوحدة أحياناً هي أكثر الأماكن أماناً.

رنت بطرف عينها فرأت طيفاً طويلاً يتقدم: «يجب أن أذهب لأدوّن بضع ملاحظات عن دروس باولا بالإنكليزية».

بدا الذهول عليه: «وهل تنوين فعلاً تعليمها؟».

ـ طبعاً.. وإلا لماذا أنا هنا.

اندفعت مبتعدة تنوي الدخول إلى المنزل. لكن غويدو أوقفها: «لحظة واحدة تشيارا. أرغب في التحدث إليك».

ارتدت على مضض وعادت فلاحظت أن طونيو ابتعد بهدوء. رفعت ذقنها: «هل الأمر ضروري؟ لدي ما أقوم به».

رد بصوت فيه شيء من التجهم: «إذن.. يجب على هذه الأشياء أن تنتظر. يجب أن نتحدث عما جرى هذا الصباح».

نظرت إلى الحجارة المنقوشة القديمة: «أفضل ألا أتذكر ما حدث».

ـ ثمة أشياء يجب أن تقال.. يجب أن تفهمي أنني لم أكن أنوي أن يحدث هذا.. لكنني لست معتاداً أن يتحدى أحدهم إدارتي لحياتي بهذه الطريقة.. وفقدت أعصابي.

ـ أجل.

ـ كان هذا خطأ في الحكم من جهتي، وندمت عليه كثيراً. (صمت قليلاً، ثم أردف بصوت منخفض) عندما جئت إلى هنا، وفرت لك نوعاً من الحراسة.. ولقد فشلت في الحفاظ على الجزء الخاص بي من الاتفاق.. ولهذا أطلب منك السماح.

أبقت صوتها ثابتاً: «لست مضطراً للاعتذار.. لقد أوضحت موقفك بوضوح تام.. وأنا ملامة أيضاً لأنني فقدت أعصابي كذلك».

تمكنت من الابتسام ابتسامة كئيبة صغيرة: «وكما قلت كانت غلطة ارتكبت.. لكنها ليست غلطة فادحة.. يمكننا وضعها خلفنا، والادعاء بأنها لم تحدث قط».

قال بهدوء: «وهل تستطيعين هذا تشيارا؟ هل تستطيعين خداع نفسك.. هكذا؟ لا أصدق أن ذاكرتي ستسمح لنفسها بأن تُغش بهذه الطريقة».

غرزت أظافرها في كفيها: «أرجوك سنيور.. لا تنظر إلى المسألة بهذه الجدية.. ليست مهمة حقاً.. يتحرش الرجال بالنساء اللواتي يعملن عندهم كل يوم.. وهذه مخاطر العمل».

ـ هذا غير صحيح في مؤسستي.

ابتلعت ريقها: «إذن فلنتفق أننا كلانا غضب وتصرّف على غير عادته. ومن الآن فصاعداً سيكون تعاملنا على أساس عملي إلا إذا كنت تفضل أن أرحل».

ـ لا.. ليس الآن. مع أنني أرى أن هذا قد يصبح ضرورياً بأسرع مما توقّعت. (ومد يده) إذن.. بداية جديدة، تشيارا؟

بعد لحظة تردد، وضعت يدها في يده، وأحست بأصابعه الدافئة تضغط على أصابعها.

كان الاتصال القصير هو الشيء الوحيد الذي يجب أن تتوقعه من الآن وصاعداً.

قالت بوجه مشرق فرضته على نفسها: «والآن هلاّ سمحت لي ماركيز».

ـ اذهبي بأمان سنيوريتا . .

استطاعت أن تميّز رنّة الدعابة في صوته وهو يقلد لهجتها الرسمية .

ما إن ارتدت على عقبيها حتى تناهى إليها صوته برقة .

ـ لكنني لن أعتذر عن الفستان . . كيف أفعل تشيارا وأنت تبدين فيه جميلة خلاّبة؟ حلم في عين أي رجل! .

اخترقت كلماته كيانها كله ففتحت بئر العواطف المعذبة التي أثارها بنفسه . . ورأت كلير أشعة الشمس تتشظى شظايا مشعة وهي تحارب دموعها . . تقاتل شوقاً للعودة إليه، مهما كان الثمن .

لكنها ردّت من فوق كتفها بصوت أجشّ: «لست عادلاً في لعبك سنيور . ألم يقل لك هذا أحد من قبل؟» .

ـ كثيرون مياكارا . لكنهم سيقولون لك أيضاً إنني ألعب لأكسب .

قالت ببرود ووضوح: «إذن ومن حسن الحظ أن تكون جائزتك هي باولا . لا أنا . . سنيور . . وإلا خسرت . . أسعدت أوقاتاً» .

أجبرت ساقيها المرتجفتين على إطاعتها فسارت إلى المنزل لتدخل إلى غرفتها الهش .

حاولت أن تستريح على الفراش الكبير وأن تبعد الدنيا عنها فترة، لكنها لم تستطيع الاسترخاء ففكرها وجسمها كانا متوترين . فحتى وهي مغمضة العينين، كان يبدو أن صورة غويدو مطبوعة في أعماق جفنيها . . لا تترك لها مجالاً للخلاص .

لكن هذه الغرفة هي المكان غير الصحيح لتتجنب فيها التفكير في الحب . فقد تذكرت ما قاله لها عن والديه . . وغرامياتهما السرية القديمة .

ستعلق الفستان الأزرق في زاوية الخزانة، ولن ترتديه مرة أخرى لكنها لن تتحمل أن تتخلص منه كذلك . . على الأقل الآن . . فقد يأتي يوم

تنظر فيه إلى الوراء، إلى هذا الصيف الإيطالي بشيء من اللامبالاة .

في هذه الأثناء، عليها أن تتعامل مع حرارة بعد الظهر الشديدة والهدوء الثقيل الذي ران على المنزل كله، مختلطاً برائحة الزهور المتصاعدة من الحديقة وطنين الحشرات الذي يبعث على النعاس .

ما هذا الجو بالمناسب للعزلة . . فهي تسمع همهمات من هنا وضحكات مكبوتة من هناك .

نهضت عن الفراش، ودخلت إلى الحمام، تخلع ملابسها وتشغل الدوش البارد الذي تركته يجري عليها حتى أصبحت نصف عمياء نصف طرشاء . بعد ذلك جففت جسمها بالمناشف وبدأت تفرك شعرها بقوة حتى شعرت بالألم .

لفت منشفة كبيرة حولها، وتقدمت إلى النافذة لتنظر إلى الأراضي المتسعة حتى التلال الخضراء القائمة خلف الأراضي .

فكرت: «سيكون هناك ظلال تحت تلك الأشجار؛ فلو لجأت إليها لشعرت بالوحدة لا بهذا الاختناق، وإن تمشت قد ينجلي تفكيرها وتجد ما تفعله حتى موعدها مع باولا» .

ارتدت ثيابها الداخلية الإنكليزية المطرزة وارتدت بنطلوناً قطنياً فيروزي اللون، وقميصاً واسعاً . . ثم أخذت القبعة القشّ الواسعة الأطراف التي ترتديها في رحلاتها البرية، وخرجت بهدوء من غرفتها .

عندما كانت تتفرّج على المعبد ذلك الصباح، لاحظت أن هناك بوابة في الجدار خلفه، وبدا لها أنها تفضي إلى التلال مباشرة . . فاتجهت نحوها .

انفتح الباب الذي أصدر صريراً مزعجاً في هذا الوقت الذي تعمّه السكينة . وتسللت بحذر .

وجدت أن عليها الاختيار بين عدة ممرات أحدها يفضي إلى التل، لكنها قررت أن تسلك ممراً يبدو أنه مستخدم ولكنه منحدر كثيراً وفيه التواءات كثيرة بين الأشجار . من هذا المكان شاهدت درجات وعرة منحوته في

الصخر، وحبلاً مربوطاً إلى جانبها بين الأشجار للمساعدة على التسلق.

عادت تصعد ولم تدرك العلو الذي وصلت إليه إلا بعدما وقفت لالتقاط نفسها فرأت ڤيلا مينيرڤا وأراضيها تمتد تحتها وكأنها بيت دمية للأطفال.

ما أجملها! غصّ حلقها. باتت مألوفة ومحببة إلى نفسها في مدة قصيرة!

قررت أنها قبل أن ترحل، ستصعد مرة أخرى إلى هنا ومعها آلة تصوير لتلتقط صور هذه الڤيلا التي ستحملها إلى الأبد في قلبها.

في هذه الأثناء، حثّها الفضول لمعرفة المكان الذي تقود إليه هذه الدرجات التي لا تنتهي... الواضح أنها تستخدم كثيراً. وهذا يعني أن زوار هذا المكان لا يأتون منفردين. قد تتسلقين وتتسلقين حتى تشعري بأن الارتفاع يكاد يصيبك بالدوار وعندئذ تضطرين إلى النزول.

لكن بعد خمس دقائق من التسلق، استوت الأرض فجأة، وانقسم الممر. ووقفت مترددة.. ثم اخترق الصمت صوت خرير مياه قادم من الجهة اليسرى فاتخذت قرارها. بدأت الأشجار أمامها تقل، ولمحت صخرة رمادية صلبة.. يبدو أنها اختارت طريقاً مسدوداً. وللحظة فكرت بأن تعود.

لكن بعد لحظات أخرى، خرجت إلى ما بدا لها بركة من أشعة الشمس.. كانت بركة عميقة معشوشبة يحدها جدار من الصخر يرتفع إلى الأعلى.. لقد سارت مباشرة إلى قلب التلال.

وهذه هي المياه التي سمعت خريرها.. إنها ساقية صغيرة قوية تنفجر من قلب الجدار الصخري نحو قناة خاصة بها حتى تضيع مرة أخرى في مجرى ضيق عند قدمي الصخرة.

لكنها كانت مخطئة عندما ظنت أن هذا الملاذ المعزول هو لها وحدها الآن.. فقد رأت شخصاً ينتظر منذ قرون في صخرة محفورة في الصخر. إنه تمثال لامرأة ترتدي غلالة طويلة وعلى رأسها خوذة الحرب، وفي يدها رمح، وعلى كتفها طير يشبه البوم.. لم تستطع حتى فجاجة النحت إخفاء قوة

التمثال، أو العينين الصخريتين الهادئتين، الناظرتين من فوق إلى الفتاة البشرية التي تطفّلت على مزارها المقدس.

«مينيرڤا آلهة الحكمة المحاربة».

أصغت كلير بدهشة إلى الكلمات التي قالها غويدو بهدوء وهو يخرج من بين الأشجار ويتقدم إلى جانبها متابعاً قوله: «وأكبر كنز لمنزلي.. ما من جوهرة أو قطعة ذهب، قد تقارن بها. عرفت أنها ستجذبك إلى هنا».

ابتلعت كلير ريقها وأرادت أن توقف هذا الرعد الذي يدوي في قلبها.

رفعت ذقنها متحدية إياه: «هل لحقت بي؟».

- لا.. بل كنت هنا قبلك.. لكن عندما سمعتك قادمة ابتعدت.. لأنني أردت أن تكتشفيها بنفسك..

قالت تدافع عن نفسها: «لقد خرجت أتمشى.. ولم أقصد أن أتطفل على خلوتك، ولم يكن لدي فكرة عن وجود هذا المكان أو التمثال. فعمّك لم يذكر هذا المكان عندما حدثني عن تاريخ الڤيلا».

- هذا صحيح. لأننا نادراً ما نتحدث عنها علناً لأسباب أمنية.

نظرت كلير جيداً إلى التمثال: «كم عمرها؟».

- ألفان.. ثلاثة آلاف سنة.. لا يعرف أحد بالتأكيد. لكنها كانت مخبأة جيداً في مزارها المقدس. كانت الصخور والحجارة مكوّمة حولها لإخفائها.. وبعد خمسة مئة سنة وقعت هزة أرضية فظهرت العينان من جديد وها هي واقفة هنا منذ ذلك الوقت.

هزت كلير رأسها: «حتى خلال الزلزال الأخير؟ ألن تكون أكثر أماناً في المتحف؟».

- ربما.. لكن عائلتي فعلت المستحيل للاحتفاظ بمينيرڤا في ملاذها الخاص.. تقول الأسطورة إن أسرة بارتالدي باقية ما دامت هي باقية.. لذا لا نرغب أبداً أن تتركنا. (أدار نظره في المكان وأضاف) هذا مكانها، تشيارا.. الأول والأخير.. ألا تشعرين بهذا؟

كانت جوارحها معه وهو يتكلم. فقد أدركت أن في الجو المتوتر عنصراً آخر. نوعاً آخر من السكون، يبدو أنه لا ينتمي إلى هذا العالم أبداً.. بل ينتمي إلى زمن بعيد بدائي. همست وقد جفّ حلقها: «أجل..».

قال بصوت لطيف: «اشربي بعض الماء».

تقدم إلى الأمام وأخذ كوباً معدنياً كان عند قدمي التمثال، ووضعه تحت الساقية.

- إنه آمن.. انظري؟

وشرب منه، ثم ناولها.. كانت المياه كالثلج، لكنها شربتها بلهفة، وأعادت الكوب إليه شاكرة.

صب ما تبقى من ماء على الأرض وقال: «هل نعود الآن إلى المنزل؟».

وأعاد الكوب إلى مكانه. قالت كلير بصوت متسرع: «آه! فكرت في أن أسير قليلاً بعد».

- لا أنصحك بهذا.

أجفلت: «هل هذا أمر سنيور؟».

- لا.. بل نصيحة. فأنت غير آمنة على هذا الارتفاع.. وليست غابات إنكليزية لطيفة. فقد شوهدت الخنازير البرية هنا، والذئاب. ويجب أن تنتعلي حذاء مناسباً لأن هناك أفاعي أيضاً.

عضت كلير شفتها: «في هذه الحالة.. سأعود بالتأكيد».

- قرار حكيم.. بدأ تأثير مينيرڤا يسري فيك.

نظرت إليه بتمرد وعادت إلى السير رجوعاً فوق الممر. وأبقت عينها على الأرض خوفاً من الأفاعي الشاردة. عندما وصلا إلى الدرجات، قال غويدو: «ربما يجب أن أسير أمامك، إذ قد تقع انهيارات بسبب المطر الثقيل».

- لكن الصعود كان آمناً.

فجأة انزلقت بسبب حجر انقلب واصطدمت بغويدو.. صاحت

برعب لأنها ظنت أنهما سيقعان، ولكنها كانت كمن صدمت صخرة. إذ لم يحرّك إلا الذراع التي شدّها حولها ليمنعها من الانزلاق.

بعدما سيطرت على أنفاسها قالت: «شكراً لك. كان هذا غباء مني».

لكنه لم يشاركها تسليتها، ولا خفف من ضغط ذراعه حول خصرها.. كان وجهه صارماً وهو ينظر إليها.. ثم قال برقة: «وأنا غبي». وعانقها.

لكنه لم يكن لطيفاً معها هذه المرة.. ولا مستعجلاً. بل شعرت بأن عناقه هذا يغزو كيانها وكأنه يضع علامته عليها إلى الأبد. شدها إليه أكثر فأكثر وكأنه يريد أن تصبح جزءاً من كيانه أو قطعة منه.

شعرت بقلبها يطير فرحاً وارتدّ رأسها إلى الوراء عاجزة ولكنه أمسك وجهها بين يديه ثم أخذت أنامله تسرح على وجهها برقة وحب وعاد يعانقها من جديد بجوع وشوق.. فشهقت وبدا لها أنها تكاد تفقد السيطرة على مشاعرها وأن الشمس والأشجار والأرض الحارة تميد بها وكأنها في دوامة.

رفع رأسه ينظر إليها وقال: «ديو.. كنت أنوي أن أكون صبوراً.. أقسم على هذا.. لكنني لا أستطيع.. لا أستطيع.. ميابيلا. يجب أن نبقى هنا..».

كان الإغواء قوياً. لكنها أدركت بتعاسة تخمد لهيب القلب، أنها ستضطر إلى العيش مع العواقب ما تبقى من حياتها التي ستقضيها وحيدة.

- لا.

انتُزعت الكلمة منها انتزاعاً حتى كادت تؤذي حنجرتها.. وجرّت نفسها لتتحرر منه، وارتدت إلى الوراء فكادت تتهاوى على جذع شجرة. وكانت الخطوة الأولى نحو التعقل واستعادة شيء من احترام الذات.

قال: «تشيارا.. لا يمكنك فعل هذا بي.. بل بنا.. لا أستطيع أن أحتمل».

رددت: «بنا؟ ليس هناك بنا.. ولست مضطراً لتحمّل شيء سنيور..

أنا التي سيلفني الشعور بالخزي والعار».

خطا خطوة نحوها ومدّ يده بتوسل: «كلا.. تشيارا!».

حذرته: «لا تتقدم خطوة أخرى».

ـ سأبقى هنا.. لن أتحرك.. أقسم على هذا.. سأنتظر أن تأتي إليّ.

ـ إذن.. ستنتظر طويلاً جداً.. لأنني لا أنتمي إلى هنا.. وأشكر الله أنني تذكرت هذا في الوقت المناسب.

سحب غويدو نفساً عميقاً: «مياكارا.. تعالي إليّ.. أتوسل إليك.. أنت لا تفهمين...».

ـ لكنني أفهم.. وأفهم جيداً.. وأكره نفسي لأنني وصلت إلى هذا الموقف.. فقد سبق لي أن تعرضت لشيء كهذا.. أليس هذا أمراً عجيباً؟ أوليس هذا كابوسك الحقيقي؟ (ضحكت، ثم تابعت) لكنني هذه المرة قادرة على التراجع.. لأنني قررت منذ زمن طويل أنني لن أكون الرديفة المنتظرة لأحد، ماركيز. (رأته يجفل ورأت فمه يقسو، فتابعت) أوه! أنا واثقة من أنك قادر على جعلي أنسى كل شيء... على الأقل لفترة وجيزة.. ولكن، في النهاية، ضميري وشرفي.. سيكونان بانتظاري.. والأسهل علي أن أهرب منك على الهروب من نفسي. (صمتت، ثم أضافت) ولا تحمل رفضي في قلبك كثيراً.

أرادت أن تجرحه كما هي مجروحة.. أرادت استخدام ما يجرحه.

ـ أنا واثقة أن لديك لائحة انتظار.. فعلى أي حال، أنت الرجل الذي يملك كل شيء: المظهر، والعقل وكل ذلك المال لتشتري لنفسك زوجات وعشيقات. لكنك نسيت شيئاً واحداً سبق أن قلته لك.. أنا لست للبيع.

ـ هل انتهيت؟

أوقفتها الرنة القاسية في صوته عند حدّها ومع ذلك رفعت رأسها متحدية إياه: «أجل ولعلي أوضحت ما أريد قوله».

كان وجهه كقناع الموت، وعيناه عاصفتين كالشتاء. لم يعد ذلك الرجل

الذي كان يعانقها إلى حدود الهذيان ويضمها حتى حافة الجنون.. لكنه أصبح غريباً مخيفاً، ورائعاً.

ـ إنه أوضح من الكريستال سنيوريتا.. وكخطوة أولى أقترح أن يعود كل منا في طريق إلى المنزل. وفي المستقبل سأتأكد أن ممرّاتنا لن تتلاقى إلا قليلاً.

وارتد على عقبيه مبتعداً.

تعالت آهة حارة من أعماقها، آهة لم تصدق أنها قادرة على إخراجها أو على الشعور بمثل هذا الألم.

بدأت بالركض غير عابئة بسلامتها. فجأة سمعت أصواتاً، فخففت من سرعتها. وتجنبت الاصطدام بڤيوليتا والكونت، اللذين كانا يستعدان للصعود. قالت ڤيوليتا بصوت ملؤه الصدمة: «كاراسيما..؟ لماذا تركضين هكذا كالمجنونة؟».

أضاف الكونت بقلق: «يجب ألا تنزلي هذا الدرج راكضة فهو غير آمن وقد تكسرين عنقك».

وفكرت كلير: «تحت مثل هذه الظروف.. سيكون كسر عنقي مكافأة لي..» وتمتمت باعتذار».

وبدأت تركض مرة أخرى نحو الڤيلا، تاركة الاثنين يتبادلان نظرات الدهشة.

* * *

٩ ـ شهقة البكاء والاعتذار

رمت باولا المجلة المصقولة الورق إلى الأرض قرب الكرسي الطويل: «هاك.. لقد قرأت كل كلمة بشكل جيد جداً.. أنا ممتازة».

ابتسمت كلير لها: «أجل.. أنت تبذلين جهداً وافياً».

لكنها تبذل هذا الجهد فقط عندما تترجم أخبار الأزياء والجمال والشائعات.. وما إن تواجه ما يحتاج إلى القليل من إعمال الفكر حتى تعود التلميذة المشاكسة. وتصر كذلك على أن الدروس يجب أن تندمج مع الاستلقاء قرب البركة... لئلا تكون كالمدرسة...

أضافت كلير بلمسة توتر: «سيكون الماركيز مسروراً».

رفعت باولا رأسها: «ربما.. لكن هل يهم هذا؟ فما زلت غير راغبة في الزواج منه.. ولا أصدق أنه يرغب في الأمر. على أي حال، هو دائماً ليس هنا».

ولم يكن هذا القول بعيداً عن الحقيقة.. اعترفت كلير بهذا متنهدة.. منذ افتراقهما على الطريق تحت مزار ميتيرڤا قبل ثلاثة أسابيع، وغويدو يفي بكلمته... نادراً ما كانا يلتقيان، فهو يقضي أقل وقت ممكن في الفيلا.. ولم تجد نفسها مرة أخرى وحدها معه، حتى ولو صدفة.

حينما كان يلتقي بها هذه الأيام، يحدث ذلك فقط في مناسبات رسمية: في غرفة الطعام أو في «الصالون» مساء. وكان يعاملها بأدب تشوبه البرودة. ورغم تأكيدها لنفسها مراراً بأن هذا هو الأفضل.. وأنه ما تريد

بالضبط.. لم تتمكن من تسكين الألم والشوق اللذين كانا يدفعانها باكراً إلى صمت غرفة نومها كل ليلة.. لكن ليس لتنام.. فهذا حلم بعيد المنال!

بدلاً من ذلك كانت تستلقي وهي تحدّق إلى الظلام، تعدّ الساعات وتراقب نور القمر المتسلل إلى الأرض. وجسمها كله متشوق إلى السعادة التي لن تحظى بها إلى الأبد.

منذ رحيل جايمس ابتعدت عن الرجال جميعهم ترفض التعرف إلى أي منهم خشية أن يصيبها ذاك الألم مرة أخرى. إن ما شعرت به نحو جايمس ليس حباً أبداً. فالآن عرفت معنى أن تحتاج رجلاً كما تحتاج إلى الهواء.

حاولت عبثاً إقناع نفسها بأنها تخلط بين الحب والرغبة.. وأن ما تشعر به نحو غويدو ليس سوى افتتان صرف.. وشعلة قصيرة ستتضاءل وتموت.. ففي مدار العلاقات العادية ما يزالان غريبين.

مع ذلك.. مع ذلك.. في المرة الأولى التي رأته فيها شعرت بصدمة ما في مشاعرها.. وعندما لمسها للمرة الأولى وثبت فوق هوة لم يكن بالإمكان الوصل بين طرفيها.

كأننا دائماً كنا نعرف.. وكأن حياتينا كانتا تتحركان دائماً باتجاه تلك اللحظة. لكن هذا كله لم يكن صحيحاً.. ولم يحدث إلا في مخيلتها النشطة.

وبخت نفسها بسخرية.. فما مرّ بينها وبين غويدو لم يكن تقارب روحين.. لقد تحرش بها، واستجابت له بكل غباء.. وهذا كل شيء.. أي شيء غير هذا ليس إلا محاولة فاشلة لتبرير غبائها المثير للإشفاق. غويدو بارتالدي بارع في الإغواء.. وكادت تقع في شباكه.. لكن ليس كلياً.. ولقد جاء دوره ليتلقى صدمة غروره.

كان ينظر إليها، ولا بد أن تكون ذكرى رفضها له في مقدمة أفكاره... كياسته وبرودته كانتا حاجزاً فعالاً.. لكن كم اشتاقت إلى وميض الضحك في عينيه، حين كان ينظر إليها، وإلى مزاحه في صوته.. وإلى الطريقة التي كان يناديها بها «تشيارا».

لم تكن تعرف كم كان يعني هذا لها، حتى اختفى. ولن تستطيع استرجاعه..

قالت لباولا الآن: «لا أعتقد أن تغيراً في الخطة قد يحدث باولا.. إنه رجل مشغول وهذا كل شيء.. حين يكون هنا.. يهتم بك، أليس كذلك؟».

عرفت ردها مسبقاً، لأنها رأت ما يحدث.. فقد كان تودّد غويدو بارتالدي للزوجة العتيدة مميزاً.. فكلما غاب يوماً أو يومين كان يعود وهو يحمل لها هدية.. لكنه لم يكن يمارس أي ضغط مادي عليها.. وهذا ذكاء منه. اعترفت كلير بهذا متألمة.

كانت باولا رغم كثرة احتجاجاتها تهتم به، ولو قليلاً، وسرعان ما ستبدأ بالتساؤل لماذا لا يبدأ بمغازلتها؟

وما إن يطالب بما يريد، فلا تظن كلير أن باولا ستقدر على المقاومة فترة طويلة. كل ما تأمله أن تكون قد رحلت في ذلك الوقت، لأنها لن تستطيع احتمال رؤيته يغوي باولا لتستسلم.. أو أية امرأة أخرى.

هزت باولا كتفيها: «إنه كريم.. وهو لا يفعل ذلك إلا ليغطي على الوقت الذي يقضيه في سينا.. زوجة أبي تقول إن رجلاً يقدّم الكثير من الهدايا يشعر بلا ريب بتأنيب الضمير».

سألت كلير ببرود: «وإصلاح المعبد لأجل الزفاف؟ هل هذا دليل على الشعور بالذنب؟».

بدا التمرد على باولا: «غويدو لا يفعل هذا من أجلي.. إنه جزء من منزله الثمين، الذي يريد حمايته».

قالت كلير، وكأنها تقول لنفسها: «مثل مزار مينيرفا».

ـ وهل رأيته؟

انحنت كلير ترتب المجلات معها لتخفي احمرار وجهها: «أجل. عندما وصلت إلى هنا.. خرجت أتمشى و.. وجدتها».

ـ أنا مندهشة لأن غويدو سمح لك بذلك. فهو عادة لا يسمح لمن هو خارج دائرة العائلة أن يذهب إلى هذا المدى البعيد. التمثال قديم جداً وثمين.. لكنه بشع.. وهناك قصص كثيرة حوله.. أساطير.. ولا أفهم كل هذه الضجة حوله.

ـ لأن التمثال قديم وثمين.. وأنا أعتقد أنه جميل. إنه يضفي هالة هدوء وأمان.

عرفت من التعبير على وجه باولا أنها لم تفهم كلمة. أردفت الصغيرة: «على أي حال.. لن يرغب غويدو أن يتم زواجه في مكان ناءٍ. وإذا حدث.. فسيكون في روما.. وعمه الأكبر، الكاردينال، سيقوم بالمراسم».

ـ أهذا ما تفضلين؟

ـ أنا؟ لن أكون هناك. (أنزلت قدميها إلى الأرض، وبدأت تجمع أشياءها) سأعود إلى المنزل الآن.. أحسّ بصداع.

رفعت كلير حاجبيها: «مرة أخرى؟ إنها المرة الثالثة هذا الأسبوع باولا.. ربما يجب أن تستشيري الطبيب».

ردت بحدة: «أنا لا أحتاج إلى طبيب.. مجرد راحة من هذه الترجمة الغبية.. أراك وقت العشاء، إذا تحسن ألم رأسي.. تشاو».

تنهدت كلير، وتراجعت مستلقية على كرسيها. معرفة باولا بالإنكليزية كانت تتحسّن يومياً.. لكن تصرّفها مع زوج المستقبل لم يتحسن البتة.

ولقد جربت كلير. كانت كل يوم تجرب أن تقرّب إلى باولا سحر فيلا مينيرفا وما يحيط بها، إضافة إلى ميزات أن تكون ثرية، وماركيزة.. لكن الفتاة الصغيرة لم تكن تقبل كلامها.

كان ردّها الدائم: «هذا المكان كالمقبرة.. ولا أحتاج إلى الزواج من رجل ثري.. سيكون لي مالي الخاص».

فكرت كلير: «أستطيع تعليم هذه الفتاة.. لكنني غير ناجحة في الإقناع.. وقلبي غير مهتم بالأمر.. أنا إلى جانبها.. ولا أعتقد أن هذا الزواج يجب أن يتم.. لأسباب غير أنانية».

لكن المهم أن باولا لم تعد إلى ذكر فابيو مع كل نفس.. والظاهر أنها لم تعد تذكره.. وهذا ما كان يبعث الاطمئنان في قلب كلير.. وربما وجد فابيو أن باولا محروسة جيداً، فخرج من الصورة.

على أي حال، هذا لا يعني أن باولا سترتد إلى غويدو ليواسيها.. خاصة وهو يلاحق مصالحه بشكل دائم.. حتى بعد أن حذّرته من أن باولا تعرف بأمر السيدة التي يعرفها في سيّنا.

سمعت شخصاً ينزل السلالم. فنظرت حولها، مبتسمة لرؤيتها طونيو ليروتشي.

ابتسم لها ابتسامته العريضة: «هل أيقظتك؟ أنا آسف.. ظننت باولا هنا».

جلست كلير: «لم أكن نائمة. وباولا عادت إلى المنزل لتستريح.. أظنها تشعر بالحمّى».

هز رأسه، يلوح بيديه كالمروحة وهو يجلس على كرسي طويل.

- أعتقد أن الطقس سيتغير قريباً.. هناك عواصف قادمة.

وافقت كلير: «الجو ملبّد».

وربما كان صداع باولا حقيقياً.. مدّت كلير يديها ترفع شعرها عن عنقها.

قال طونيو: «جئت أسأل إذا كانت تريد درس تنس آخر هذا المساء قبل العشاء بعدما يبرد الجو قليلاً».

ابتسمت له: «سأسألها حين أدخل المنزل.. لقد اجترحت معجزة.. كنت أعتقد أنها تكره الرياضة».

- لا.. حين كانت طفلة، كانت بارعة ورياضية، ولكن زوجة أبيها في

روما هي التي أقنعتها بألا ترهق نفسها.. وأن عليها البقاء مستلقية طوال اليوم، وأن تعيش حياة بلا معنى.

قالت كلير ببطء: «بالطبع أنت تعرفها منذ زمن بعيد.. أليس كذلك؟».

شاب صوته كآبة غريبة أثارت كلير: «أجل.. لكنها أحياناً تنسى ذلك».

عضت كلير شفتها: «لا أظنها في موقف هيّن.. فهي ترى أن هناك من يخطط لحياتها نيابة عنها ولا يستشيرها أحد.. وهي لا تحب هذا المكان».

- لكنها كانت تحبه.. خلتها ستكون سعيدة هنا، لكنني لم أعد واثقاً من شيء.

كان في صوته تعاسة كبيرة.. فأخذت كلير تنتقي كلماتها بعناية.

- أعتقد.. سيصلح أمرها إن تزوجت بالرجل المناسب.

فتح طونيو يديه.. وقال بشيء من الخشونة: «إذن لا مشكلة. كل ما عليها هو أن توافق، وعندئذ يتم الزواج غداً».

قالت: «لسوء الحظ.. ليس الأمر بهذه البساطة.. وأعتقد أنك تعرف هذا.. فهي غير مقتنعة بأنه الشخص المناسب لها.. وسيساعدها أكثر لو قلل غويدو الماركيز من زيارته لسيّنا ولأماكن أخرى».

هز طونيو رأسه: «في الوقت الحاضر لا خيار له.. سلسلة محلات البوتيك ستفتح أبوابها قريباً، وهو يجب الإشراف على كل التفاصيل بنفسه».

- وهل هذا كل ما يفعله؟ أوليس لديه أسباب شخصية ليكون هناك؟

بدت الحيرة على طونيو: «اعذريني.. هذا شيء لا أستطيع مناقشته.. إنه شأن غويدو الخاص».

- لكنه ليس سراً.. باولا تعرف كل شيء.

رد بهدوء: «لا.. لا تعرف شيئاً.. لا أحد يعرف.. إلا الماركيز».

ـ أنت تتغاضى عما يفعل؟

ـ لا يحق لي أن أحكم. . أو أشرح. . غويدو يفعل ما يجب أن يفعله، وطالما فعل هذا.

ـ أنت مخلص جداً.

أحنى رأسه: «وهو مخلص أيضاً. . ذات يوم ستدركين ذلك».

ابتسم بارتباك ووقف.

ـ هلاّ نقلت رسالتي إلى باولا رجاءً.

كانت كلير تفكر وهي تسير إلى المنزل. . لقد رأت طونيو كثيراً في الأسابيع الماضية، وكانت تزداد إعجاباً به بعد كل مقابلة. . وقد عامل باولا بصبر وأناة حتى عندما تكون في أسوأ مزاجها. . فلا شيء مما قد تفعله يمكن أن يغضبه.

في الوقت ذاته، كانت دهشتها قوية لأن غويدو يسمح له بقضاء وقت طويل برفقة باولا. . فعدا عن التنس، كان يأتي في معظم الأيام إلى المسبح ليشجعها على السباحة. . وفي الأمسيات كان يعلمها طاولة الزهر، ويراقصها حين تعزف الموسيقى بعد العشاء في الصالون. . ربما كانت الغاية من تصرفاته تسليتها فالضجر قد يدفعها للتمرد.

لكن، يجب على غويدو أن يفعل هذا، لا أن يعين نائباً عنه. . مهما كان مخلصاً وكاتماً للسرّ.

قرعت برقة على باب باولا ونادت باسمها. . لكنها لم تتلق رداً. . ربما تناولت أقراصاً لتسكين الألم ونامت. . تراجعت مبتعدة.

كانت المصاريع الخشبية مغلقة فوق النوافذ الطويلة في غرفتها، فتقدمت تدفعها للسماح بدخول النور.

ظلّلت كلير عينيها، ونظرت إلى السفوح المشجرة البعيدة. فكرت في مينيرڤا بشوق. . لقد قامت بعدة رحلات إلى ذلك المزار في الأسابيع المنصرمة حين يكون غويدو مسافراً، وكانت تنفرد بنفسها هناك.

وهناك كانت تجلس على العشب، تستعيد في ذاكرتها، مرات ومرات، كل ما حدث بينها وبين غويدو. . محاولة أن ترى ما إذا كان هناك ما قد تفعله لتغيير الأمور.

ولكنها مضطرة للقول بأن لا شيء يجمع بينهما. فهي وغويدو يرغبان في أشياء مختلفة. إنها بحاجة للالتزام. . بينما هو يقبل بما هو زائل. . هي تريد الوفاء. . وهو لا يلتزم به أبداً. . والزواج بالنسبة لها يعني الحب. . أما بالنسبة له فيعني التوافق، ائتلاف مال ومصلحة.

أن تنهي كل شيء كما فعلت، أفضل من أن تخاطر بتحطيم قلبها في النهاية.

حركت كتفيها تحت قماش قميصها الرطب. . اليوم، غويدو غائب، ولا شيء يمنعها من التسلق إلى المزار، ما عدا الحرارة.

لكن، هناك من يرغب في المخاطرة، كما أدركت بعد أن لمحت شيئاً أصفر يتحرك بين الأشجار.

قطبت كلير تفكر بصوت مرتفع: «من هذا يا ترى؟ لا يمكن أن يكون ڤيولينا، لأنها خرجت مع الكونت لتناول الغداء ولم يعودا بعد».

لكن لدى باولا فستان بهذا اللون. . باولا نفسها التي تكره الحر، والمستلقية الآن في فراشها.

لكن كيف أعرف أنها في فراشها، إذا لم أتفقدها؟

تأوهت في داخلها. . لكنها كانت تعرف في قرارة نفسها أن عليها التدخل. . أن تعرف ما الذي يجري، فهذا على أي حال ما تقبض أجراً عليه.

لم تكن في مزاج جيد حين وصلت البوابة وفتحتها. كانت الشمس لاذعة فوقها، وثيابها تلتصق على جسمها. واضطرت إلى إجبار ساقيها على صعود السلالم، والحبل يحتك بخشونة بكفها الرطب.

حين وصلت المكان الذي تتشعب منه الطريق، توقفت تصغي بانتباه،

لكن لا صوت سوى تدفق الماء البعيد. وجدت باولا تقف أمام المزار، ترفع رأسها نحو التمثال. وأدهشها أن تجدها وحدها باكية... لم تعد بحاجة إلى تفسير ما رأت. ثم قالت بلطف: «باولا! هل هناك شيء خاطىء؟ ماذا تفعلين هنا؟».

ردت الأخرى بصوت مرتعش: «أنت جئت إلى هنا.. وقلت إن المكان هادىء آمن. ربما أنا كذلك أحتاج إلى هدوء لأفكر».

عضت كلير شفتها: «إذن أنا آسفة لتطفّلي.. سأتركك وحدك».

ـ لا.. انتظري. أرغب أن أسألك شيئاً.. تشيارا، هل من الممكن أن تعتقدي بأنك تحبين شخصاً، ثم تدركين فجأة أن هذا غير صحيح؟ وأنك في الواقع تهتمين بشخص آخر.. وأنت هكذا منذ مدة طويلة.. لكنك كنت عمياء وعنيدة جداً... أيمكن أن يحدث هذا؟

جمدت كلير.. وقالت ببطء: «أجل.. يمكن القول إن هذا يحدث بكل بساطة».

تنهدت باولا.

ـ كنت أخشى هذا. (صمتت لحظات) تشيارا.. كنت أقابل فابيو.. كان هنا في الفيلا متظاهراً بأنه جنائني.

أغمضت كلير عينيها بشدة: «يا إلهي.. ابن عم ماركو».

ـ وكيف عرفت أنه هو؟

ـ كان يجب أن أعرف. لقد عرفت أن هناك شيئاً خطأً فيه.

هزت باولا رأسها: «سي.. كان هناك شيء خاطىء.. لقد أراد المال.. والمال فقط.. في البداية تكلم عن الحب.. وكم سنكون سعيدين معاً. ثم بدأ يتغير.. وبدأ يخطط كيف سيحصل على المال من غويدو. ويسأل طوال الوقت عن إرثي.. وبدأت أفهم أن هذا هو كل ما يهمه. في الوقت ذاته، أدركت من أحب فعلاً.. ولو أنني قاومت لزمن طويل.. وعرفت أنه الرجل الوحيد الذي يمكن أن يسعدني.. لذا، حين قابلت فابيو

اليوم، قلت له إن كل شيء انتهى.. انتهى».

ـ وكيف كانت ردّة فعله.

ـ غضب.. وقال إنني خدعته، وإنه سيجعلني أندم. ويجعل غويدو يندم كذلك..

لاقت عيناها عيني كلير بقلق: «أتظنّين أنه قادر على هذا؟».

ابتلعت كلير غصة فجائية في حلقها: «لا.. لكن إذا كنت قلقة.. تحدثي إلى غويدو بالأمر».

هزت باولا رأسها: «لا أستطيع.. هناك أشياء كثيرة يجب أن أقولها له. الكثير لأشرحه، وأطلب منه السماح».

ابتسمت كلير بتوتر: «لا أظن أن هذا سيكون مشكلة. وأعتقد أنه سيلاقيك في نصف الطريق».

امتلأت عينا باولا بالدموع مجدداً.

ـ أوه.. أنت طيبة معي تشيارا.. أنت أول من جعلني أشك بفابيو.. ولو أنني لم أرغب بهذا. (أمسكت يد كلير) ستبقين معي.. أليس كذلك، حتى يوم زفافي؟

قالت كلير بصوت مضطرب: «سأحاول.. لكن قد يكون الأمر صعباً.. سأحتاج إلى أن أجد عملاً آخر.. باولا.. أنت واثقة.. من أنك تريدين هذا الزواج؟».

ابتسمت باولا بخجل: «سي.. أشعر وكأنني عدت إلى البيت.. أيمكن أن تفهمي هذا؟».

ـ أجل.. أفهمه جيداً.

* * *

عاد غويدو إلى الفيلا قبل العشاء ذلك المساء.. ولم تر كلير وصوله.. لكنها أحست به على أي حال.. فهناك دائماً ذبذبة جديدة في الهواء حين يكون غويدو في المنزل. دغدغة ما في الجو تسرّع الخفقان ما بين ضلوعها.

وقفت، تنظر إلى نفسها في المرآة.. الليلة ليلة احتفال.. لذا وضعت عليها الفستان الذي اشترته لها فيولينا من بيروجيا وبدا لها أنه متسع قليلاً، مما يدل على أنها فقدت من وزنها.. عظام خدّيها أكثر بروزاً، وهناك خطوط توتر على طول فكها وعنقها.

كل شيء كان يتجمع ليفضح عذابها الداخلي، وأحست بالتعاسة لهذه الفكرة.. لكنها كانت تأمل أن لا يلاحظها أحد.. فكل الاهتمام سيكون منصباً على غويدو وباولا.

أقنعت نفسها بأنها يجب أن تكون مبتهجة لهما، ومرتاحة لأن باولا أُنقذت من ارتكاب غلطة شنيعة مع فابيو.. وما من شك في أنها ستعزّز وتدلّل وتتلقى الحماية إلى ما تبقى من حياتها، على أساس أنها الماركيزة بارتالدي. لكن هل يكفي هذا؟

هزت كلير رأسها.. يجب أن توقف هذا التفكير، فسرعان ما لن يعود هذا من شأنها. على أي حال، انتهى عملها.. ويمكنها أن تقدّم استقالتها.

لكن، أولاً، يجب أن تمر بهذه الليلة بسلام.. وهذا ما يمكن اعتباره أصعب موقف في حياتها.

نزلت إلى الطابق الأرضي ببطء، ووقفت متردّدة تصغي إلى الأصوات القادمة من الصالون.. الإثارة التي في الجو تكاد تكون ملموسة.

رأت أن باب مكتبة غويدو كان مفتوحاً.. فأخذت نفساً عميقاً.. لن يكون هناك وقت أفضل من الآن لتقول له إنها راحلة. ونظراً لما وصلت إليه الأمور بينهما لا يمكن إلا أن يكون مرتاحاً لمغادرتها.

وصلت الباب، وتطلعت إلى الغرفة. كان غويدو هناك، لكن ليس وحده.. كانت باولا معه، بين ذراعيه، وجهها مدفون في كتفه بينما يده تملس شعرها بحنان لا مجال للخفاء فيه.

بينما كانت كلير تقف دون حراك، بشفتين منفرجتين وعينين متسعتين، رفع رأسه بحدة ونظر إليها.. رأت وجهه متجهماً وفمه مشدوداً، وكل

تعبيراته مختلفة تماماً كما عهدته فيه أثناء العناق.

للحظة طويلة، نظرا إلى بعضهما البعض بنوع من الصدمة، والإدراك المرير.. نظرته السوداء تتجول عليها، تكاد تحرقها.

وبشهقة صغيرة ما بين البكاء والاعتذار، استدارت لتركض مبتعدة.

* * *

www.rewayat2.com

١٠ ـ أرجوك أنقذني!

قالت ڤيوليتا بصوت بقلق: «طفلتي العزيزة.. تبدين مريضة. ماذا حدث؟».

أجبرت كلير نفسها على تصنُّع الابتسام.

ـ يكاد الصداع يشق رأسي.. ثمة عاصفة قادمة والرعد يؤثر فيَّ دائماً هكذا.. وكنت أتساءل عما إذا كان معك أقراص مسكِّنة.

ـ طبعاً.

أخرجت ڤيوليتا علبة جلدية: «إنها دائماً هنا كارا.. خذي ما تحتاجين إليه. (صمتت قليلاً) هل هناك ما يمكن أن أحضره لك؟ قال ماتيو إنك لن تنزلي لتناول العشاء.. فهل يحمل إليك عشاءً خفيفاً على صينية؟ بعض الحساء والفاكهة؟».

عضت كلير شفتها: «لا.. لا.. أشكرك فلست جائعة.. حقاً».

ربتت ڤيوليتا على خد كلير بلطف: «يا للخسارة! في الوقت الذي سيقام فيه احتفال.. تبدين جميلة جداً في هذا الفستان لكنك شاحبة. لقد أخبرتك باولا بآخر أخبارها بالتأكيد. يا للسعادة!».

قالت كلير بصوت ثابت: «أجل. يا للسعادة!».

كنت أنوي أن أكون شجاعة. فكرت بينها وبين نفسها وهي تقف قرب النافذة في غرفتها.. تنظر إلى الحديقة وأنفاسها عالقة في سكون المساء

الثقيل.. لكن هذا كان قبل أن أراهما معاً، قبل أن أراها بين ذراعيه.. وأعرف أنني لن أحتمل.

لقد تذرعت بألم الرأس طبعاً، لتتجنب الحضور مع الجميع في الطابق الأرضي.. لكن كان هناك فعلاً شحوب فوق عينيها، وفراغ مرير يُرجف داخلها.. على أي حال.

لقد وعدت ڤيوليتا بأن تأخذ الأقراص وتخلد إلى النوم مباشرة.. لكنها لم تكن قادرة حتى على بذل هذا القليل من الجهد.

عندما انفتح الباب خلفها فجأة، افترضت أن عرّابتها جاءت تتفقدها. قالت بصوت قلق: «أرجوك لا تتسلطي علي ڤيوليتا.. سآوي إلى فراشي حالاً».

ـ أنا لست السنيورا.

جاء صوت غويدو أجشّ يشوبه شيء من العدائية. التفتت إليه وهي تشهق من الصدمة!

ـ ماذا تفعل هنا؟

قال ببرود: «أتصرف كمضيف طيب. أحاول الاطمئنان إلى صحة ضيفتي؛ وهي على ما يبدو، تفضّل الاختباء وراء مرض تافه لئلا تواجه الحياة».

اكفهرّ وجهها غضباً:

ـ هذا غير عادل.. لقد جرت بيننا مواجهات كثيرة منذ التقينا ماركيز.

ـ لقد سعيت إلي في وقت مبكر من اليوم. ماذا كنت تريدين؟

خفق قلبها بشدة وتحشرجت أنفاسها: «لأقدم استقالة رسمية. لأقول لك إنني راحلة».

ـ من المعتاد تقديم رسالة مكتوبة.. على أي حال، لا تضيعي وقتك.. لأنني لن أقبل الاستقالة.

ـ لقد انتهت مهمتي.. ولا سبب يدعوك للرفض ولا حق لك في

تأخيري أكثر من ذلك!

مال برأسه إلى الوراء: «لا تتكلمي عن الحقوق.. فهذا منزلي تشيارا.. وهذه أرضي. وأنا بارتالدي.. أمارس الحقوق التي أختارها.. أما عن الأسباب. فأنت تعرفين قدر ما أعرف، لماذا أرغب في بقائك».

صاحت في وجهه: «أنت ترغب.. أنت ترغب.. وماذا عن رغباتي أنا.. مشاعري أنا؟ ماذا لو قلت لك إنني لم أعد أطيق البقاء معك تحت سقف واحد لحظة واحدة؟».

ـ قولي ما تشائين من أكاذيب لأن ذلك لن يشكل أي فرق. لا مجال للهرب. لقد رأيت عينيك تلاحقانني في الأسابيع الثلاثة الماضية، ولاحقتك عيناي.. الظلال على وجهك تخبرني بأنك شاركتني ليالي أرقة. تشيارا.. أشك أن أنام مرة أخرى.

قالت بشراسة: «إذن تمتع بالأرق.. بالله سنيور.. كم امرأة تريد في حياتك؟».

ـ أحتاج إلى واحدة فقط تشيارا.. أحتاجك أنت.

تقدم خطوة منها وزاد عمق صوته ورقته: «أنت تمزّقينني إلى قطع صغيرة.. ميابيلا».

قالت بجفاء: «لا تقترب مني.. ولا تقل هذه الأشياء. أنت ظالم سنيور.. قاسٍ».

خرجت ضحكة قصيرة من حلقه: «إذن فلنكن لطفاء مع بعضنا بعضاً ماريسيما.. ولنواسِ بعضنا على البؤس الذي عشناه في الأسابيع الثلاثة الأخيرة».

ـ وماذا عن البؤس الذي ستجلبه عليّ ما تبقى من عمرنا؟ كيف ستتعامل مع هذا؟.. آه!.. إنسَ الأمر. فلديك سيدتك في سيينا.

ورفعت رأسها. اشتدّ ضغطه على فمه: «أجل.. ولا شك في أنها ستعطيني اللطف والحنان لو طلبت منها. لكنني لن أفعل هذا.. لا

أستطيع.. وذات يوم ستفهمين السبب».

هزت رأسها: «لا أظن هذا.. لا أظن أنني سأفهم أبداً ما حدث في الأسابيع الماضية.. كل ما أتمناه هو أن أكون على بعد آلاف الأميال من هنا.. وألا تقع عيناي أبداً عليك. اذهب من هنا غويدو.. أرجوك. ارجع إلى حيث تنتمي.. إلى الناس الذين تنتمي إليهم.. ودعني بسلام».

ـ بسلام؟ أشكّ في هذا ميابيلا.. أشك أن نعرف، أنا وأنت، السلام مرة أخرى.. وأنا على عكسك، لو استطعت تمديد هذه اللحظات التي تنعم فيها عيناي برؤياك إلى الأبد لفعلت.. فلا أظنك تعرفين مدى جمالك وروعتك. لكن، إذا كنت تكرهين رؤيتي إلى هذا الحد.. فهناك تعويض سهل.. (أخفض صوته بمرارة).. أغمضي عينيك، وسأختفي. افعلي هذا تشيارا.. أغمضي عينيك.

أطاعته عاجزة. وعندما أحاط الظلام بها، أحست بقوة حضوره، ثم بلمسة شفتيه على شعرها، جبهتها.. وجفنيها المغمضين.

همس:

ـ أديو، وداعاً.. حلوتي.. محبوبتي!.

ثم ران الصمت.. وعرفت أنها أصبحت لوحدها، بل أكثر وحدة مما كانت في أي وقت مضى.

عندما تمكنت من التفكير الجليّ مرة أخرى، وجعلت عضلاتها المشلولة تطيعها، وجدت أنها تمد يدها إلى الحقيبة التي تركتها فيوليتا، تبحث في محتوياتها عن المسكّن الموعود... وكأن فيه شفاء للعذاب الذي يمزّقها.

من الخطأ أن أحسّ بهذا.. إنه لا يستحق. إنه مخادع.. سيتزوج لأسباب تجارية، دونما اهتمام بأن يكون مخلصاً. يجب أن أكرهه.. أريد أن أكرهه.. لكنني لا أستطيع.. وأحتقر نفسي لهذا.

آه! أين هي هذه الأقراص؟ وتحولت دموعها الحبيسة إلى رباط حديدي يشتد قوة وراء عينيها.. أفرغت الحقيبة على السرير وإذا بمفاتيح سيارة

ڤيوليتا تقع على الأرض قرب قدميها.

انحنت ببطء، تستعيدها. وأطبقت يدها عليها.

لقد قال غويدو إن لا مجال للخلاص.. لكن القدر يتدخّل.. لِرُبها الطريق، ويجب أن تسير فيه.. الحقيقة أنها غير قادرة على البقاء ساعة أخرى حيث يوجد غويدو.. وبكل تأكيد.. ليس ليلة أخرى!

ارتجفت وأخذت أصابعها تشدّ حول المفاتيح حتى كادت تحفر راحة يدها. ستقود السيارة إلى أقرب محطة قطار وتستقل قطاراً إلى.. أي مكان.. وستخفي آثارها جيداً بحيث لن تتمكن حتى سلطة غويدو من إيجادها.

ستفعل ما كان يجب أن تفعله منذ أسابيع. لكنه كان يجدها.. أما الآن فستتأكد من عدم وجود أي فرصة أمامه.

لن تستطيع المخاطرة بنقل أغراضها. ستكتفي بوضع بعض الملابس الضرورية في حقيبة الكتف.. إضافة إلى جواز السفر والمال.. ويجب أن تكتفي بهذا. فلو جاء أحدهم يبحث عنها فثيابها المعلقة في الخزانة ستوحي أن غيابها مؤقت.. وهذا ما سيعطيها مهلة ثمينة للابتعاد.

إنها بحاجة إلى تغيير ملابسها فوراً.. بحثت عن الملابس المعلقة وأخذت فستاناً بنياً بلون الشوكولا وسترة طويلة بلون العاج.. فلن تحتمل أن تكون بسيطة الزي.. فهذا ما لا يمكن أن تتحمله! عندما أخذت تفك سحّاب فستانها لتخلعه لمحت نفسها في المرآة. ورأت ما رآه فيها.. شقراء مشعثة الشعر، عيناها السوداوان واسعتان براقتان، ولون خفيف يبرز عظام خديها. الفستان الأسود يلمح إلى الثنايا النحيلة التي يخفيها.

همست: جميلة.. وحرقت الدموع عينيها، وتلاشت الصورة فجأة.. قال إنني أبدو جميلة.

هزت رأسها بنفاد صبر.. هناك وقت كاف للبكاء.. وعليها الآن أن تركز على الفرار.

خشيت أن يحبط غويدو خطتها بأن يعين خادمة تنتظر خارج بابها، لكن

الرواق والسلم كانا مهجورين.. والهمهمة المنبعثة من غرفة الطعام تشير إلى وجود الجميع هناك.. إن أقصر طريق إلى سيارة ڤيوليتا سيجبرها على المرور أمام نوافذ الغرفة.

لا أستطيع المخاطرة.. قالت لنفسها.. سأسلك أطول طريق.

راحت تسير بثباتٍ وهي تنظر حولها في الحديقة.. وكأنها تتمشى.

أبطأت خطواتها ما إن وصلت إلى الكنيسة التي أحاطتها سقالات وضعت على مكان مرتفع لاستبدال الزجاج المحطم. لقد جيء بزجاج ملوّن.. وكان عمله رائعاً.. هكذا قالت ڤيوليتا لها بحماسة «يجب أن تذهبي لتشاهديها مياكارا».

هزت كلير رأسها وابتسمت.. فهي لن تفعل.. ولا تريد رؤية المكان حيث سيتزوج غويدو وباولا، وقد تم إصلاحه.

لقد كان مبنىً جميلاً وأنيقاً قبل الزلزال.. أما الآن فالجرس ساقط، وحجارته مكوّمة دون ترتيب عند القاعدة. ولكنها دهشت لأنها رأت أن بعض الألواح انتزعت من مكانها، وأسندت إلى الجدار.

وكانت أكثر دهشة وهي ترى سيارة متوقفة إلى جانبه.

ربما عاد المهندس ليلقي نظرة أخرى.. ولكن أيعقل أن يأتي ليقوم بالكشف في الليل؟ إلا إذا كان غويدو قد دعاه إلى الڤيلا للعشاء.

ولكن السيارة على ما يبدو لا تخصّ رجلاً محترماً ناجحاً.. فالسيارة قديمة.

تقدمت مقطبة تلقي نظرة عن قرب، وصولاً لجهة السائق.

عندما نظرت إلى الداخل سمعت جلبة فسارعت تنخفض إلى الأسفل فوراً وشرعت تراقب ما يحدث من فوق غطاء المحرك.

خرج رجلان من البرج، يشتركان في حمل شيء ما، شيء ثقيل، ملفوف في قماش ومربوط بالحبال.

للحظة خالتها جثة.. فوضعت يداً على فمها لتمنع نفسها من الصراخ.

ـ حذار أيها الغبي. .

مع أن كلير لم تقابل المتكلم سوى مرة واحدة، إلا أن صوته بات مألوفاً لديها على الفور. يا إلهي. . إنه فابيو!

تابع بقلق: «لو كسرته لخسرنا ثروة».

فتحا صندوق السيارة ووضعا حملهما فيه، وهما يتمتمان ويشتمان.

لزمت كلير مكانها ولم تفهم ما كانا يفعلان. . ولكنها لا ترغب أن يضبطاها وهي تراقبهما.

بعد تبادل كلام هامس، عادا إلى البرج. . بدا واضحاً أنهما لا يقصدان خيراً. . وعرفت أن عليها أن تبلغ عنهما. . ولكن العودة إلى المنزل ستفضح أمرها. . والأهم عندها أن تصل إلى سيارة فيوليتا.

وعدت نفسها بالتوقف عند أول مركز هاتف عام، وارتدت إلى ما وراء السيارة تستعد للاختفاء بسرعة خلف زاوية المنزل. .

ما زال صندوق السيارة مفتوحاً. . لذا لم تتمكن من مقاومة نظرة سريعة جانبية. . وجمدت. . لقد سقط بعض الخيش فظهر وجه مينيرفا الحجري. التمثال. . وأحسّت فجأة بالذعر. . إنهما يسرقان التمثال!

ـ مساء الخير سينيوريتا.

(آتاها صوت فابيو من ورائها فارتدت صارخة) يبدو أنك تتجسسين وهذا أمر لا يشرّف امرأة بارتالدي.

قالت: «إياك أن تكلمني بهذا الشكل. وماذا تفعل بمينيرفا؟».

ـ آه! سأحتفظ بها في مكان آمن حتى يقرر الماركيز كم تساوي بالنسبة له. لقد أرتني باولا مكانها، وأخبرتني بالأسطورة. . إذا وقع التمثال فستقع أسرة بارتالدي معه. (وابتسم ابتسامة كريهة) أتساءل إلى أي حد يصدّق الماركيز الخرافات؟

ردّت بحدة: «خلتك عرفت مسبقاً أنه لا يرضخ لطلب الفدية».

ـ آه. . لكن قطعة حجر لا تتكلم كثيراً. . ولا تترك رسائل في أمكنة

غير مناسبة. . باولا بالنسبة لي أكبر مما تستحق. . لكن الأمر سينتهي بي إلى أن أكسب مالاً أكثر مما حلمت.

ـ لن تنجو بهذا.

اتسعت ابتسامته: «لا؟ ومن سيبلّغ عنا؟ أنت سنيوريتا؟ لا أظن هذا. . لأنك ستكونين الزينة فوق قالب حلوى كبير. وأعتقد أن بارتالدي سيدفع مالاً كثيراً ليستعيدك. . ».

نظر إلى خلفها وأشار برأسه.

فجأة شعرت ببطانية تلتف عليها من الخلف. . أخذت ترفس وتقاوم؛ وحاولت أن تصرخ. لكن البطانية القديمة المشبعة بالغبار والرطوبة، خنقت صوتها ثم ما أسرع ما التفّ حبل حولها ليثبت معصميها إلى جسمها. ورفعت عن الأرض، ورميت في السيارة.

للحظة، أخذت تشهق لتتنفس.

قال فابيو بصوت كريه: «ليس المكان طرياً كفراش بارتالدي. . هيا أيتها الجميلة!. . لا تقلقي. سرعان ما ستعودين إليه، ما إن تعطينا يدُ عشيقك المال».

حاولت أن تصيح. . أن تقول له إنه مجنون، وإن غويدو لن يدفع ليراً واحداً ثمنها. لكن محرك السيارة دار مصدراً هديراً قوياً خنق كلماتها.

كانت رحلة طريقها حافلة بالمطبات، وبدا أنها ستدوم إلى الأبد. .

ظلّت كلير جامدة، تحاول استنشاق الهواء عبر ثقوب في البطانية. . وحاولت أيضاً تقدير المسافة والمدة اللتين قطعاها لكن هذا كان مستحيلاً. .

أحست بالغضب أكثر من الخوف.

تذكرت أنها سمعت، في مكان ما، أن المرء إذا ما استرخى وأراح عضلاته وهو مقيّد بالحبال فإن الحبال ترتخي حوله. . لكنها مربوطة كالصرة والحبل يؤذي ذراعيها وجسمها. . أخيراً توقفت السيارة.

سمعت صوت باب السيارة ينفتح خلفها، ثم جُرّت إلى الخارج

بإهمال.

ـ قفي على قدميك! والآن سيري إلى الأمام.

وقف كل منهما إلى جهة.. وقدرت مدى قربهما، ثم رفست بقوة وصرخت بصوت مرتفع في الوقت نفسه.

أصابتهما معاً.. واسترخت الأيدي التي كانت ممسكة بها فحاولت أن تركض.. لكن شيئاً صدمها على رأسها. وفجأة غرقت في الظلام وأغمي عليها.

أحست أن جفنيها ملتصقان، وأن فتحهما مهمة طويلة وشاقة وعندما فتحتهما أخيراً، وجدت أنها تنظر إلى نور ضئيل، يتسلل من مصباح صغير، يحيط به ساتر معدني.

إذن، هذا ليس قبواً.. ورفعت رأسها المتألم ونظرت حولها فوجدت أن هذا المكان لا يجسد فكرتها عن مخبأ خاطفين. هذا لو كان لديها في الأصل أية فكرة عنه.

في الواقع.. كان سجنها غرفة نوم ريفية. وكانت مستلقية فوق سرير فردي، وعلى شرشف صوفي سميك أبيض.. رأت أن حذاءها نزع من قدميها، ربما لحماية الشرشف القديم.

فكرت بسخرية: «أنا مسرورة لأن خاطفيَّ تذكرا حسن الأخلاق».

لكنها ما زالت أسيرة.. قدماها حرّتان، أما يداها فما زالتا مربوطتين بشدة خلف ظهرها.

كانت أرضية الغرفة من الخشب المصقول.. انتشرت عليها بضع بسط وكان هناك قطعتان أو أكثر من الأثاث القديم.

خلف الستائر المطبّعة بالزهور، كان هناك مصاريع خشبية ثقيلة.. قال لها المنطق السليم إنها مقفلة بأمان.

أخذت تتساءل وهي تعود ببطء إلى الوسائد.. إنها لا تعرف كم الوقت الآن وحتى لو طوت نفسها إلى الوراء، فلن تستطيع رؤية ساعتها.

إذن، كل ما تستطيع أن تفعله، هو أن تنتظر.

لكنها لم تضطر إلى الانتظار طويلاً. فقد سمعت صوت المفتاح في القفل ودخل إلى الغرفة شاب، يبدو أنه الخاطف الثاني. كان أقصر قامة من فابيو، وأشدّ بنية.. وجهه وجه شخص مرح في العادة لكنه يبدو الآن متجهماً.

ـ إذن فقد استيقظت أخيراً.

كان في صوته رنة ارتياح لم تفتْها.. الواضح أن أذيتها جسدياً لم تقع في خانة مصلحتهما.

ـ كيف تشعرين الآن؟

ردت بسخرية: «لم يسبق لي أن تعرضت إلى هذه التجربة.. لابد أنك ماركو».

تورّد وجهه. ونظر إليها نظرة مذعورة.

ـ وكيف عرفت؟

ـ لأنك تبدو وكأنك أمضيت حياتك في العراء.. على عكس صديقك.. هل تفك وثاقي؟ أرجوك.

ـ لا.. لا أستطيع هذا.. سنيوريتا.

ـ حسن جداً.. أنت مضطرٌ لهذا.. أحتاج إلى دخول الحمام.

خرج متمتماً، وعاد مع فابيو.. وأخرجاها معاً من السرير، وأوقفاها مستقيمة، ثم أخرجت من الغرفة، عبر ممرٍّ طويل، ومعتم أيضاً.. ووصلا بها إلى حمام صغير، كان في الواقع مربع دوش مبلط.

حذرها فابيو وهو يفك معصميها: «لا ألاعيب..».

ثم دفعها إلى الداخل وأعطاها منشفة رقيقة.

غسلت وجهها ويديها بالماء البارد.. تفحصت وجهها في مرآة فإذ هي مشعّثة شاحبة كالأموات، وإذا هناك كدمة على جبينها.

لكن عقلها السليم قال لها إنها على الأرجح نجت بأعجوبة.

طرق فابيو الباب: أسرعي.

نادته: «أحتاج إلى حقيبتي، ماذا فعلتما بها؟».

- إنها معنا.. سنحتفظ بها.. هل تظنين أننا أحمقان.

- من الأفضل ألا أجيب عن هذا.. أعطياني فقط حقيبة التجميل، والمشط.. فلن أستطيع اختراق الحائط.

سمعت المزيد من التمتمة.. ثم انفتح الباب ورمي إليها بحقيبة الزينة المطلوبة.

مشطت شعرها وجددت البودرة وأحمر الشفاه ورشت نفسها بقليل من العطر.. لكن كل هذا لن يساعدها في حل مشكلاتها.. بل سيعطيها بعض الثقة النفسية، التي لا تُقدّر بمال.

عندما خرجت إلى الممر، نظرت إليهما ببرود:

- قبل أن تعيداني للاستلقاء مرة أخرى.. أريد جرعة ماء، شيئاً آكله.

حصلت ويا للدهشة على ما تريد.. وجاءها ماركو بزجاجة معدنية فيها ماء، وبقصعة من الفاصوليا كما لاحظت أن الصينية مغطاة بالقماش، وفوقها منديل طعام.

وقف يُسند كتفه إلى الباب يراقبها تأكل. وحين انتهت، ابتسمت له:

- هذا طعام لذيذ!

تورّد وجهه وتمتم بشيء دفاعي.

وضعت كلير المنديل على الصينية: «أخبرني.. هل فابيو حقاً ابن عمك؟».

هز رأسه: «لا.. التقينا في مقهى.. وقال لي إنه يحب السنيوريتا باولا، وإن الماركيز يفصل بينهما».

- مثل روميو وجوليت!

هز رأسه: «سي سنيوريتا.. ولقد أخبرني هذه القصة مراراً.. وأحسست بالأسى على فابيو الذي وعدني بأن يدفع لي حين يتزوج

بالسنيوريتا باولا.. وجدت له عملاً في الأملاك ليتمكنا من اللقاء (أحني كتفيه) لكن السنيور «بروتشي» أرسل في طلبي.. وقال لي إنه يعرف أن لا ابن عم عندي، وكان أن خسرت عملي. لقد عمل والدي عند أسرة بارتالدي ووالده من قبله.. وهذا عار كبير عليّ... عندما تعود أمي من زيارة أختي ستغضب مني كثيراً».

صمت قليلاً ثم تابع: «ثم إن السنيوريتا باولا أخبرت فابيو بأنها لن تهرب معه. لذا كان كل شيء من أجل لا شيء».

وتنهد بصوت بائس فقالت كلير: «لكن فابيو وضع خطة بديلة لجني المال بسرقة تمثال مينيرفا!».

- سي.. كلنا نعرف أن الماركيز يقدّر التمثال كثيراً، لأنه كنز قديم، وثمين جداً.. ولقد أقسم لي فابيو أنه لن يضر به.

سألته: «وهل يجعل هذا كل شيء على ما يرام؟ لا أظن يا ماركو!».

قال بإصرار: «لقد وعدني بالمال.. والآن ليس لدي عمل، وأمي مريضة. ومن سيوظفني إذا عرف أنني صُرفت من خدمة أسرة بارتالدي؟.. لا أحد..».

وبدا لها فجأة صغير السن ضعيفاً.

خطرت على بالها فكرة... وكانت تهم بقول شيء ما حين انفتح الباب ودخل فابيو يحمل الحبل ليقيّد يديها. سألت بقرف: «هل هذا ضروري حقاً؟».

ابتسم لها: «أعتقد هذا.. أنت من الأملاك الثمينة سنيوريتا. وميزتك أنك من لحم ودم لا من حجر. وأحتاج لاستبقائك هنا».

رفعت كلير رأسها: «قد لا أساوي قدر ما تظن. والماركيز بارتالدي لا يستجيب للابتزاز.. ولا أظنه يهتم أبداً بدفع فديتي لأنني لا أعني شيئاً له».

اتسعت ابتسامة فابيو: «محاولة بارعة.. سنيوريتا.. إنما لسوء الحظ

إنني أعرف ما يخالف قولك.. لأنني رأيتكما معاً، قرب مزار مينبرقا بعد ظهر يوم كنت أنتظر باولا فيه.. وبدا لي أنك تعنين الكثير له. أنت خلاّبة سنيورا.. ربما علي أن أحضر آلة التصوير لأصورك.. لمجرد أن أذكّر الماركيز النبيل بما يخسر».

تدّخل ماركو بصوت مذعور: «لا تكن أحمق.. ديو.. لا تجعله أكثر غضباً مما هو عليه الآن، بإلحاق العار بامرأته. أنت لا تعرفه، ولا تعرف ما بإمكانه أن يفعل».

هز فابيو كتفيه: «ربما.. وسنرى كم هو سخي عرضه الأول».

نظر إلى كلير، التي أطلقت ببطء أنفاسها المؤلمة.

ـ يجب أن تكوني صبورة سنيوريتا.. لقد قررنا أن نترك عشيقك ينضج على النار ليوم أو يومين.. قبل أن نتصل به. وأظن حين سأتكلم إليه أنه سيكون سعيداً ليستجيب إلى شروطي.

قالت كلير ساخرة:

ـ لو كنت مكانك لما اعتمدت على هذا.

وأعاد ربط معصميها.

أبقت رأسها مرتفعاً حتى غادرا الغرفة، ثم انهارت على حافة السرير، وساقاها ترتجفان.

وجدت أنها عاجزة عن إقناعه بأنها ليست عشيقة غويدو. لكن، قد يكون ماركو مختلفاً.. فالواضح أنه لا يشعر بالراحة لهذا الموقف.. وهذا ما يجب أن تعمل عليه.

تساءلت كم سيمضي من الوقت قبل أن يفتقد وجودها أحد.. والآن عرفت الخطأ الذي ارتكبته عندما تركت ثيابها في الخزانة فذلك سيشوّش أفكارهم.

رفعت قدميها إلى السرير بقلق، وأراحت نفسها قدر المستطاع..

أغمضت عينيها تفكر.. آه غويدو.. أرجو منك أن تأتي إلي.. أرجوك

جدني.. وإن أردت، فسأبقى معك.. وسأفعل أي شيء.. وأكون ما تريد.

للحظة قصيرة، شعرت أنها تشعر بشفتيه.. على شعرها.. وعلى جفنيها.. وأحست بالراحة.

* * *

www.rewity.com

١١ ـ من سجن إلى . . . سجن

عندما استيقظت كلير، أنبأتها ساعتها التي أزالتها عن معصمها في الليلة السابقة أن الوقت صباح.

نهضت عن السرير بارتباك، وتمكنت من الوصول إلى الباب.

كما أملت، فتح لها ماركو الذي لم يبد سعيدا أكثر من ليلة أمس.

ابتسمت له بلطف: «بونجورنو. . أريد الذهاب إلى الحمام وأريد بعض القهوة».

تردد، ثم هز رأسه على مضض.

عندما كانت تغسل وجهها ويديها سمعته ينزل ليجلب لها حقيبة زينتها، ففتحت الباب ونظرت إلى الخارج. كان الممر فارغاً، وأغراها ذلك بالهرب. . تقدمت وفتحت الباب باحتراس شديد. تحرك أنفها أمام رائحة مقيتة، ووجدت فابيو منبطحاً فوق السرير وزجاجة فارغة على الأرض قربه، يشخر بصوت مرتفع.

إلى الخارج. . هذا هو الوقت المناسب للعب على ماركو.

سارت على أطراف أصابعها وهي تنظر إلى المصاريع الخشبية مفتوحة. . خارج النافذة. . وكما كانت تخشى، لم ترَ سوى الحقول والأشجار.

المنزل، الذي كانت متأكدة أنه ملك لوالدة ماركو، كان في عزلة تامة.

لكن، تحتها مباشرة، كانت سيارة فابيو تبدو واضحة.

ليتني أستطيع الحصول على المفاتيح. . فلا أظننا بعيدين كثيراً عن

الطريق العام.

شخر فابيو، وارتد إلى جنبه. . فعادت إلى الحمام، وأقفلت الباب بهدوء في اللحظة التي صعد فيها ماركو إلى الطابق الأعلى، يحمل قهوتها، إضافة إلى طبق فيه قطعة لحم بارد وقطعة جبن وخوخة تعيسة المظهر.

ابتسمت له مجدداً: «شكراً لك. . أنت ترعاني بشكل جيد. . لا شك أن أمك فخورة بك. . وكم هي تحافظ على بيتها جيلاً».

بدا عليه الامتنان: «شكراً سينوريتا».

تابعت كلير. . تراقبه من خلال أجفانها وهي ترتشف القهوة: «ومن المؤسف ألا تتمكن من البقاء هنا».

تغضّن جبينه: «ماذا تعنين؟».

ـ حسناً. . لن تتمكن من العناية ببيتها وهي في السجن.

نظر إليها نظرة متحجرة: «السجن؟ لن تذهب أمي إلى السجن. ولن أذهب أنا أيضاً. هناك أمكنة كثيرة أختبىء فيها حتى من عائلة بارتالدي».

ـ لكنك حجزتني في بيتها وهذا سيجعلها شريكة في الجرم. على الأقل، هكذا سيرى البوليس المسألة.

ـ لكنك تعرفين عكس هذا سينوريتا. . وستقفين إلى جانبها لأنها مسنّةً ومريضة.

ـ ربما كان عليك التفكير في هذا قبل أن تسمح لفابيو بتوريطك بهذه المؤامرة (ومالت إلى الأمام، تنظر إلى عينيه. وقالت بلهفة) هناك شخص واحد فقط قد يساعدك. . ويخرجك من هذه الورطة. . وهو الماركيز. . لكن. . لماذا يفعل؟ لقد خنت ثقته بك. . أنت سرقته. بإمكانك أن تهرب ماركو. . لكنه سيلاحقك. . وأمك ستعاني كذلك.

ـ لا. . فهذا غير ممكن. . لم يقل فابيو شيئاً عن. . .

ـ ولماذا يقول؟ فليست أمه من ستعتقل. . ولا أظنه يهتم بأمه مثلك على أي حال. . لا شيء يساعد. . كما أخشى. . عندما يلحق بك البوليس إلى

هذا المنزل الذي سيجد بصماتي فيه . . ستتورط أمك ورطة عصيبة .

بدا على ماركو أنه سيجهش بالبكاء:

ـ لن أسمح لهذا أن يحدث . . ماذا أفعل سنيوريتا؟

ترددت كلير: «حسناً . . بإمكانك تركي أذهب» .

ضحك بخشونة: «أتركك تذهبين؟ لتجلبي الشرطة وتضعيني في السجن؟ لا، لست غبياً!» .

ـ لكن الأمر ليس كما تظن! أصغ إليّ ماركو . . إذا ساعدتني بالهرب فسأخبر الماركيز ماذا فعلت لي بالضبط . . وسأحدثه عن طريقتك اللطيفة في معاملتي . . وكيف اعتنيت بي . . والأهم أنني سأذكّره بأنك خدمت عائلته في أملاكه طويلاً . وسأطلب أن يعيد إليك عملك . . وقد يكون هناك مكافأة . (صمتت قليلاً، ثم تابعت بسرعة) إنه رجل طيب . . رجل عادل . سيسامحك ويعيدك إلى عملك . . لو طلبت منه أنا هذا . . إن ساعدتني الآن . . أنقذت نفسك وأمك .

ران صمت طويل . .

ـ لكن كيف أعرف أنه سيفعل كل هذا؟

رفعت كلير رأسها: «لأنني سأساعدك . ولأنني كما قال فابيو . . أنا امرأة بارتالدي» .

ساد صمت متوتر آخر . . ورأته يبتلع ريقه .

ـ وماذا يجب أن أفعل؟

لقد بات الشاب جاهزاً للامتثال، وعليها الآن أن تكون حازمة وعملية .

ـ سأحتاج إلى السيارة . هل المفاتيح مع فابيو؟

ـ قد يستيقظ .

ـ لن يستيقظ إلا إذا هوجم بالصواريخ .

ـ لكنني لن أبقى هنا . . سأرافقك سنيوريتا . فعندما يستيقظ سيتصرف

كالمجنون . . لذا لا يمكنني أن أبقى هنا .

لم تستطع لومه . . لكنها لن تحتاج إليه أبداً . . افترضت أنه يريد أن التأكد من أنها ستحافظ على وعدها . هزت رأسها موافقة: «لك ما تريد ماتيو . أحضر المفاتيح وحقيبتي ولنخرج من هنا» .

راقبته يدخل إلى الغرفة الأخرى حيث فابيو غارق في النوم . . وبعد دقيقة عاد: «سنيوريتا . . لم أعثر على المفاتيح . . ويخيفني أن أفتش في جيوبه» .

كبحت كلير نفاد صبرها: «لا تقلق ماركو . . سأبحث عنها بنفسي» .

كانت جيوبه فارغة . ولكن عندما تقلب بقلق، لاعناً شاقاً في منامه . . سمعت صليل معدن، ووجدت المفاتيح تحت المخدة . قالت بهدوء: «هيّا بنا . . قبل أن يصحو» .

انتظرت بقلق، فيما كان ماركو يتعثّر في إدارة المحرّك، فقد أصرّ أن يقود بنفسه . . وعندما انطلقت بهما السيارة ظنت أنها سمعت صيحة . . ورأت أن ماركو سمعها كذلك، فنظر في المرآة وضغط على المكابح .

قالت بإلحاح: «امضِ إلى الأمام . . قلت لك إنني سأهتمّ بك» .

ـ سأطيعك . . لكن إذا خذلتني . . فسأرميك إلى الذئاب .

نظر إليها ببؤس ثم انطلق مجدداً .

ظلت الطريق تحاذي حقول دوار شمس ما يقارب الميل ثم وصلا إلى الطريق المعبدة التي لم تكن أفضل حالاً . خافت، لكن ماركو كان مصراً على أنهما في الاتجاه الصحيح .

مالت كلير فجأة إلى الأمام، وشهقت: «آه! يا إلهي! . مينيرفا . . لقد نسيت أمرها . . فهي لا زالت مع فابيو» .

ـ لا سنيوريتا . . بل ما زالت في صندوق السيارة . . ليلة أمس رغب في الاحتفال فقط . . فتركها هنا .

اقتربا من مفترق طرق . . فقالت كلير بابتهاج: «آه! هذا ليس يوم

سعده».

وشهقت عندما انحرفت سيارة بوليس عن الطريق الرئيسية وسدّت عليهما الطريق.

امتقع وجه ماركو خاصة وهو يرى سيارة بوليس أخرى تلحق بهما: «ديو.. إنهم قادمون لاعتقالي!».

وشهق شهقة ملؤها الذعر ثم حرّك المقود محوّلاً السيارة عن الطريق نحو الأشجار.

حاولت كلير أن تكلمه بهدوء: «ماركو.. إن هذا لجنون.. فلا يمكنك القيادة بين الأشجار. أوقف السيارة، وكل شيء سيكون على..».

واختنقت كلماتها لأن ماركو أساء الحكم على المسافة بين شجرتين، فاصطدم جانب السيارة بقوة.

ارتمت كلير إلى الأمام.. لكن حزام مقعدها أمسكها.. أما ماركو الذي لم يكن يضع حزام أمانه، فقد اصطدم بالمقود وتراجع إلى الخلف وتدفق الدم من أنفه وجرح رأسه.

أمسكت حفنة مناديل ورقية من حقيبتها وأسرعت تضعها على وجهه، بينما البوليس يطوّقها.

وفكرت بهستيريا.. هذا لا يمكن أن يحدث!

انفتح بابها ووعت الوجوه التي تحدّق فيها وراح شخص يسأل عما إذا كان عليها التحرّك.. فكت حزام مقعدها، وخرجت، تتمسك بجانب السيارة، وبدأت الأرض تترنّح بها وتميد.

ثم ارتدّ الجمع عنها ليفسح الطريق، فرأت غويدو يسير نحوها بوجه متجهم وعينين ملتهبتين.

ما إن وصل حتى سأل بلهفة:

ـ هل أنت مصابة؟

وصاح من فوق كتفه: «سيارة إسعاف.. فوراً».

رأت أن الدم كان على يديه وعلى سترته. وحاولت الضحك: «غويدو.. هذا ليس دمي.. إنه ماركو المسكين..».

كان ينظر إلى خلفها، إلى حيث سُحب ماركو من السيارة.. وكان على وجهه تعبير لم ترَ كلير مثله من قبل.. تعبير كئيب وإجرامي.

وصل إليه في ثلاث خطوات ثم رفعه وكأنه دمية من قماش، وأمسك بخناقه وأخذ يهزّه.

شقت كلير طريقها إليه ورمت بنفسها على غويدو.

ـ لا تفعل هذا أرجوك.. لا تؤذه.. لقد ساعدني. ووعدته بأن كل شيء سيكون على ما يرام. (وأخذت تضربه بقبضتيها) غويدو.. حبيبي.. اتركه.

ردّ بصوت أجشّ:

ـ هل أنت مجنونة؟ وكيف أتركه وقد تآمر مع تلك الحشرة؟

ـ لأنه أحد رجالك.

وأخذت الدموع تسيل على وجهها: «لأن والده عمل عندك.. وجدّه من قبله.. لأن هذه أرضك.. أملاكك.. وأنت بارتالدي».

أرخى غويدو قبضته ببطء، وانزلق ماركو إلى الأرض عند قدميه.. قرمزي الوجه مختنقاً.

تابعت بسرعة: «لقد كان غبياً.. بل أسوأ من غبي.. لكنه نادم.. وما كنت لأستطيع الهرب لولاه.. لقد وعدته أن أعتني به.. وألا أتركه يُعتقل».

ـ ما الذي أعطاك الحق في منحه مثل هذا الوعد الخطير؟

صفعتها لهجته الحادة ورفعت نظرها إليه وكلها رغبة في ضمه إليها لتمحو التصلب عن وجهه. قالت بهدوء، وبساطة: «لأنني امرأة بارتالدي.. والآن، أعدني إلى المنزل.. أرجوك».

تكهرب الجو وهو ينظر إلى عينيها، ثم أمسك يدها ورفعها إلى شفتيه،

قبل أن يلتفت إلى أقرب شرطي: «أوصل السيدة إلى سيارتي.. أرجوك! لأرى ما يمكن أن نفعل هنا».

في الوقت الذي عاد فيه إليها، كانت ردة الفعل قد هدأت، وكانت ترتجف كورقة في مهب الريح.. نظر إليها مقطباً: «يجب أن أنقلك إلى المستشفى».

ـ أكره المستشفيات.. وسأكون بخير.. غويدو.. لا تتركهم يزجّون ماركو المسكين في السجن.. أرجوك! إن أمه مريضة، وهو أحد رجالك.

ـ لقد أوضحت وجهة نظرك.. ولا أستطيع أن أرفض لك طلباً.

استندت إلى الوراء، تغمض عينيها.. وفي هذا الوقت تحركت السيارة إلى الأمام برقة.. حسناً.. لقد حكم عليها بالموت الآن.. ستعرض عليه نفسها.. وسيقبل. وافترضت أنه سيشتري لها مكاناً تعيش فيه.. شقة في روما.. ربما.. وسيزورها حين يمكنه ذلك..

لكنها تعرف أنها لن تستطيع أن تحتلّ سوى جزء صغير من حياته.. كافياً.

قالت: «كيف عرفت أين ستجدني؟».

ـ منذ أخبرت طوتيو عن «ابن عم ماركو» وضعنا فابيو تحت المراقبة.. إذ ظننا أن باولا ستكون في خطر. إنما لم أفكر قط أنه قد يتجرأ على لمسك.. حين اختطفتِ ليلة أمس.. ظننت ببساطة أنك.. تركتني. ثم وجدنا مفاتيح سيارة ڤيوليتا قرب البرج.. وأدركنا أن مينيرڤا اختفت كذلك.. وبلّغنا عن رؤية سيارة فابيو. (كان يتكلم بهدوء خال من المشاعر) وكنا سنستجوب ماركو.. أرجو ألا تكوني تسرّعت بإعطاء وعد مماثل لفابيو!

ـ كلا.. بل أرجو أن يسجن مدى الحياة. (ثم تذكرت شيئاً فاستوت جالسة) غويدو.. كان يجب أن أقول لك.. مينيرڤا في صندوق السيارة.

ـ سيجدها أحدهم ويعيدها إلى مكانها.

ـ وكيف لك أن تكون على هذا الهدوء؟ إنها أكبر كنوزك!

قال برقة: لم تعد كذلك..

استراحت يده للحظة قصيرة على ركبتها. كان الجميع ينتظر عودتهما على سلم الڤيلا.

فتح لها غويدو باب السيارة وساعدها لتخرج.. ثم، وقبل أن تتحرك أو تحتج.. ، أخذها بين ذراعيه وحملها صعوداً على الدرجات الأمامية.

ما شدّ كثير من بين تلك الوجوه، وجه باولا التي اتسعت عيناها من فرط الصدمة. وهذا ما أعادها إلى وعيها.

همست: «غويدو.. أنزلني.. هل جُننت؟ ماذا سيظن الناس؟».

ردّ دون أن يُرخي من ذراعيه حولها:

ـ ما يشاؤون.. كالعادة..

حملها إلى غرفة نومها، وأنزلها بلطف على السرير، ثم التفت يشير إلى مديرة المنزل التي لحقت بهما، وأعطى تعليمات سريعة لم تسمعها كثير جيداً.

أُعِدّ حوض عميق معطّر الماء.. ثم أقبلت بانديتا فلومينا فساعدتاها على نزع ثيابها.. وبعدما بقيت فترة في الحوض خرجت ثم لفت نفسها بالمنشفة. ولكن فلومينا هي التي جففت شعرها حتى عاد إليه بريقه، ودلكت بانديتا الكدمة على جبينها بمرهم عطري.

كان الغطاء قد رُفع عن السرير، وغلالة نوم بانتظارها.. ثوب لم تره من قبل، من الساتان العاجي اللون، بحمالات رقيقة، وياقة عميقة كاشفة، وصدر صنع بكامله من الدانتيل.

أحست فجأة أن تعامل الخادمتين معها أصبح مختلفاً. لكن، ماذا تتوقع بعدما حملها غويدو واضعاً بذلك علامته عليها.. معلناً نواياه على العالم كله؟.

عضت شفتها.. إنها تتصور ما تشعر به باولا.

أغلقت مصاريع النافذة، ثم انسحبت الخادمتان تتمتمان، وأصبحت

كلبر وحدها أو هكذا ظنت لأن الباب انفتح على الفور ودخل غويدو.

كان قد بدّل ثيابه كذلك، وارتدى بنطلوناً أسود ضيقاً أبرز خصره النحيل. ثم قميصاً حريرياً أسود. وكان وجهه جاداً ومتحفظاً قليلاً. وقف إلى جانب السرير: «كيف تشعرين؟».

ـ أفضل بكثير.

ترددت، ونظرت إليه بعينين حزينتين محبطتين، لأنها توقعت أن يتصرف بمزيد من الرقة.

ـ أنت لا تضيع الكثير من الوقت سنيور.

ـ ليس لديّ الوقت الكثير لأضيعه.. هل أعجبك ثوب النوم؟

ردّت بشيء من حدتها القديمة: «إنه لطيف.. هل لديك مخزن منه لجميع الاحتمالات؟».

ابتسم: «لا.. أمامك أشياء كثيرة تتعلمينها عني ميابيلا».

مرّرت أصابعها على حافة الفستان المزينة بالدانتيل، وقد أحسّت بجفاف فمها.

ـ وهل سيكون هذا الدرس الأول؟.

اختلطت الإثارة بالحياء في داخلها.

ـ سيتأخر الدرس الأول قليلاً، على ما أعتقد، لأن علينا أن نتكلم.

جلس على حافة السرير، ثم قدّم إليها علبة مخملية مسطحة.

ـ جئت أقدّم لك هذه.

كان في داخلها قطعة ماسية وحيدة.. وكأنها دمعة من نار معلقة في سلسلة ذهبية ناعمة.

وتابع: «فتشت عن ماسة لا عيب فيها. هناك جواهر أخرى بالطبع.. بعضها قديم. لكنني أردت أن أخصك بشيء، وحدك.. شيء لم يتلقَّه أحد قبلك».

ابتلعت ريقها: «إنها أجمل شيء رأيته حتى الآن.. لكن، لست مضطراً

لهذا غويدو، أنا.. لا أحتاج إلى الجواهر أو الهدايا الثمينة.. المسألة ليست هكذا أبداً».

ـ إذن، يجب أن تروّضي نفسك محبوبتي.. إذ من المتوقع أن ترتدي الماركيزة بارتالدي جواهر العائلة في المناسبات الكبيرة.

قالت بذهن متبلد: «أنا واثقة من أن باولا ستبدو جميلة.. ألا ينبغي أن تكون معها الآن؟».

ثبّت غويدو القلادة حول عنقها، وركز الماسة التي أخذت تلمع عند أسفل فتحة الياقة. وقال برقة: «إنه لأفضل مركز لها.. أم أنك لا ترغبين برفقتي، ميابكارا، فتودّين التخلص مني؟».

ردّت بيأس: «لا.. بل الأمر فقط، أنني أريد أن تفعل ما هو مناسب. حتى وأنا أعرف أننا نرتكب خطأ.. أريد أن نفعل هذا بأفضل طريقة.. أتهزأ مني؟».

أمسك يديها: «ما أسخف ما تتكلمين به.. تشيارا.. فهل يمكن أن تكوني الشخص الوحيد في العالم الذي لا يعرف أنني جئت إلى هنا لأطلب منك أن تكوني زوجتي؟».

نظرت إليه مصعوقة.. خافقة القلب.. فاغرة فاها.. حين تمكنت من الكلام، قالت بصوت متهدّج: «هذه مزحة ما.. لا بد.. أن تكون..».

ـ لم أكن قط جاداً أكثر من الآن.. وأريد جواباً منك حبيبتي.. كل روح في هذا المكان معلقة على كلمة منك.

ـ لكنك ستتزوج باولا.. إنها تحبك.. وهي التي قالت لي هذا.

ـ إذن إليك هذه الأخبار الجديدة: لقد خطبت باولا لطونيو منذ ثمان وأربعين ساعة.

بدأ رأسها بالدوار: «وأنت.. لا تمانع؟».

هز كتفيه: «هذا ما كنت أنويه دائماً. لقد أحبها منذ سنوات.. فليساعده الله، كل ما كان بحاجة إليه هو أن تتوقف باولا عن الوقوع في

www.rewity.com

شراك الرجل غير المناسب، وأن تدرك أنها لن تكون سعيدة إلا مع طونيو، وهذا ما فعلته الآن. . ظننت أنها أخبرتك؟».

ـ قالت شيئاً. . لكنني لم أفهم. لكن، لماذا جئت بي إلى هنا؟ قلت إنك تريد مني أن أجعلها زوجة موافقة لك. .

ـ لا، حبيبتي. . أنت التي عنيت دائماً بالزواج. وأنت التي كان عليك أن تقنعي نفسك بالخضوع، بالقبول بقدرك. . مرّت أوقات ظننت أن هذا لن يحدث أبداً.

ارتجف صوتها: «غويدو. . أيها. . الشيطان. . لكن ماذا عن مال باولا؟ قالت إنك لا تريد أن يخرج من الشركة».

ـ ليس لباولا مال مياكارا. . عدا التسوية التي سأمنحها إياها بعدما تتزوج. . لقد تاجر والدها بكل ما يملك، ولهذا جلبها أبي إلى منزلنا. . فقد شعر أن من واجبه حمايتها.

ـ وطونيو يعرف هذا؟

ـ بالطبع.

ـ إذن، لماذا ادّعيت أنك ستتزوجها؟

ـ لإبعاد من لا أرغب فيهم عنها. . فابيو لم يكن الأول. . وكان يجب أن أحميها من نفسها. (ابتسم لها بحنان) وكان عليك أنت أن تفهمي حبيبتي العنيدة. . كنت تصرين دائماً على أنني أريدك عشيقة لي. . بينما أنا ببساطة كنت أريدك. أنا لست ذلك الشاب المرهق. . تشيارا. . وأنت لست المرأة الأولى في حياتي. . لكنك ستكونين الأخيرة. . وأعرف أنني لست الرجل الأول في حياتك. . فقد أخبرتني فيوليتا شيئاً عن جايمس. . فهل هناك سر ما ترغبين في أن تخبريني به عنه؟

ـ إنه ليس مهماً. . لقد أصبح من التاريخ منذ مدة طويلة. لكنني اعتقدت أنك مثله. . تتزوج لأسباب محض نفعية. . وهذا ما أغضبني.

قال بهدوء: «لقد راود الشك قلب كل واحد منا. فعندما رأيتك في

محطة باريزو ذلك اليوم فكرت: ها هي أخيراً. . ثم، حين بدا أنك شريكة فابيو. . غضبت، وأحسست بالغثيان من جراء خيبة الأمل».

ـ لقد بدوْت وكأنك تريد قتلي. لكن عندما رأيتك اليوم تهاجم ماركو. . أدركت أنني كنت محظوظة لأنني نجوت.

ـ أنت لم تنجي مني كاريسيما، إلا إذا قررت ألا تتزوجيني. . وأنك لا تحبينني.

ـ لقد أحببتك منذ البداية. . لكنني أقنعت نفسي بمحاربة هذا الحب.

سحبت نفساً عميقاً:

ـ لكن، هناك ما يجب أن أعرفه غويدو. . حقيقة السيدة التي في سيينا.

صمت طويلاً. ثم قال: «اسمها بيانكا، تعرفت عليها منذ عشر سنوات. لكننا افترقنا، ولم ألتق بها مرة أخرى إلا منذ سنتين. . حين قال لي صديق مشترك إنها عادت إلى سيينا، وهي مريضة جداً. وإنها بحاجة إلى المساعدة».

وبان على وجهه التأثر: «حين ذهبت لأراها، وجدتها مصابة بجفاف في الشرايين، والمرض يتقدم بسرعة. كانت متزوجة حين اكتشف مرضها، ولكن زوجها لم يحتمل فترة عجزها فتخلى عنها. وجدت لها شقة، ورتّبت لها من يعتني بها على مدار الساعة. قال الأطباء إن هذا لن يلزمها لمدة طويلة. وأنا أذهب إليها. . ونضحك، ونتذكر معاً ماضي أيامنا. مؤخراً، أخبرتها عنك. وتوسلت إلي أن تقابلك.

ابتلعت كلير ريقها بصعوبة: «أوه. . غويدو. . أنا آسفة كثيراً. . سأذهب معك بالتأكيد. . لقد حكمت عليك بقسوة، ولا أفهم كيف بقيت راغباً فيَّ».

داعبتها ابتسامته: «لكنك تعرفين جيداً أنني ما زلت أريدك».

قالت برقة: «أجل. . أعرف».

مال إلى الأمام يعانقها ببطء وحنان فبادلته عناقه بالشغف ذاته، وكانت مستمتعة بالحرية التي تتصرف بها. حرية كانت أكثر قيمة لها، لأن ثمنها كان مؤلماً. قال لها: «هل تعرفين ميابيلا أننا لن نقدر على شيء الآن. فلو فعلنا شيئاً لصدمت عرابتك ولشعر عمي بالخزي والعار.. فمن المفترض أن أنتظر بصبر إلى ليلة الزفاف».

انحنى يعانقها من جديد، يلثم عينيها الدامعتين ويتمتم كم هي جميلة وكم يحبها.. ثم قال وهما يتعانقان: «الليلة، سأنظر إليك وقت العشاء وأبتسم، وستعرفين أنني أتذكر هذه اللحظات».

ـ وهذا ما سيجعل من المستحيل عليّ أن آكل أو أشرب أي شيء.. على أي حال، لدي كذلك ذكرياتي سنيور. (نظرت إليه من تحت رموشها) أعتقد أن علينا أن نبقى ناسكين حتى موعد الزفاف.

ـ وهذا ما أعتقده أنا أيضاً. وأعتقد أيضاً أن علينا الاعتذار من الذين ينتظروننا في الطابق الأسفل. لا بد أن عمي وعرّابتك غاضبان فعلاً إلا إذا كانا مشغولين ببعضهما بعضاً.

قطبت قليلاً: «هل هما فعلاً مولعان ببعضهما البعض؟ هذا رائع لكن، طالما قالت ڤيوليتا إنها لن تتزوج مرة أخرى».

ـ أعتقد أن لسيزار أفكاراً أخرى وأظنه سيكسب ودها. وهو لاحظ على الفور أنني أحبك.

ـ هذا ذكاء منه.

وعاد يحتضن وجهها:

ـ نحن عائلة أذكياء كاراسيما.. وأعتقد أن علينا الزواج بأسرع وقت ممكن.. وربما من الأفضل ألا ننتظر إنهاء إصلاح الكنيسة.

ابتسمت وأسندت رأسها إلى صدره: «وهل أنت مستعجل جداً ماركيز؟ أنا أحب أن أبقى امرأة بارتالدي».

ـ ستجدين أن عروس بارتالدي أكثر مكافأة.

عندما كانت تسير في ممر الكنيسة نحو غويدو، المنتظر عند المذبح، بعد بضعة أسابيع قصيرة، رأت كثير الحب في وجهه، والفخر، والتوقير.. وعرفت، وهي تشعر بالغيرة.. أنه على حق.

* * *